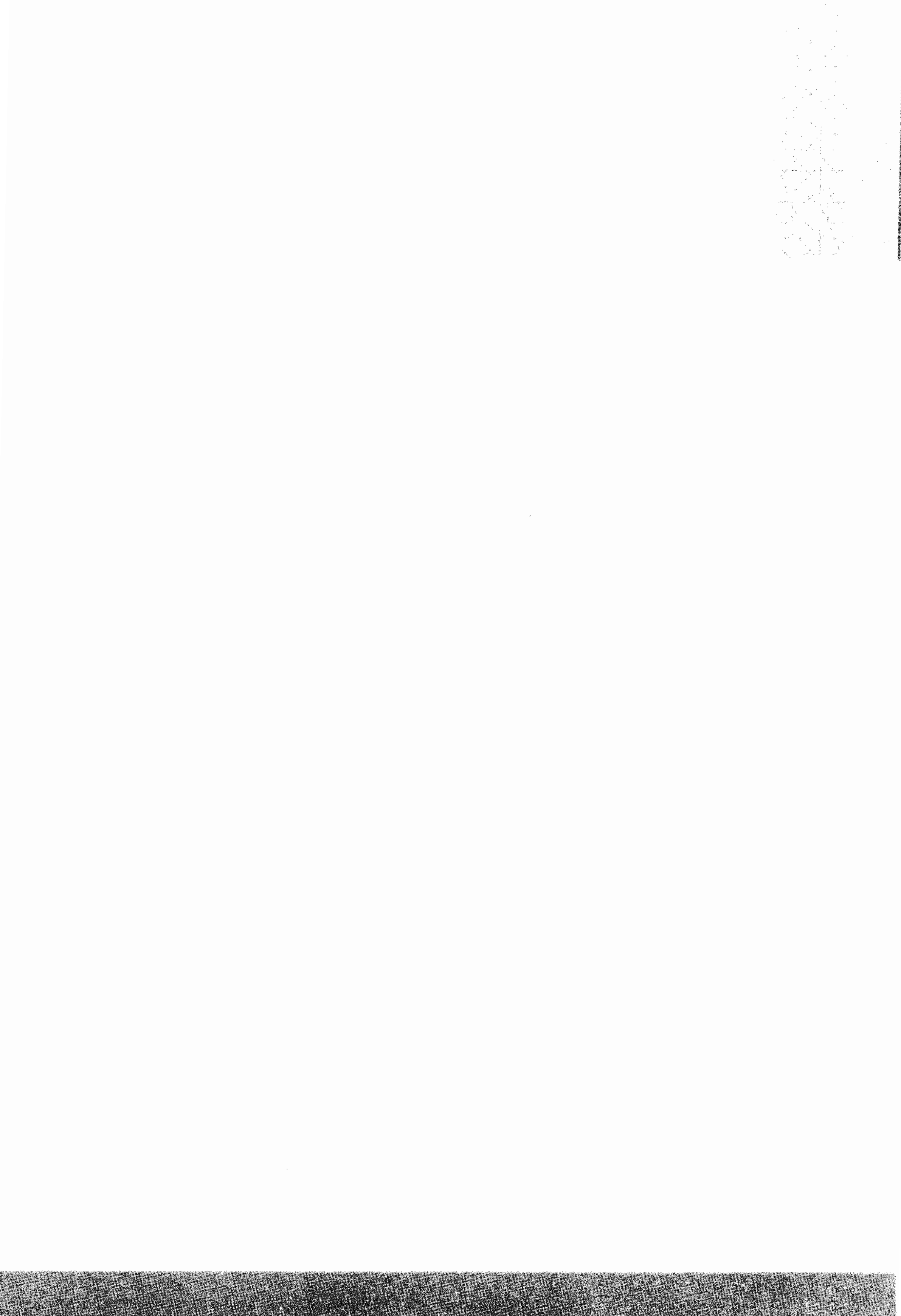
منهج القاضي عياض في شرح غريب الحديث في كتابه مشارق الأنوار على صحاح الآثار

د. بكر بن محمد البخاري
قسم السنة وعلومها - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



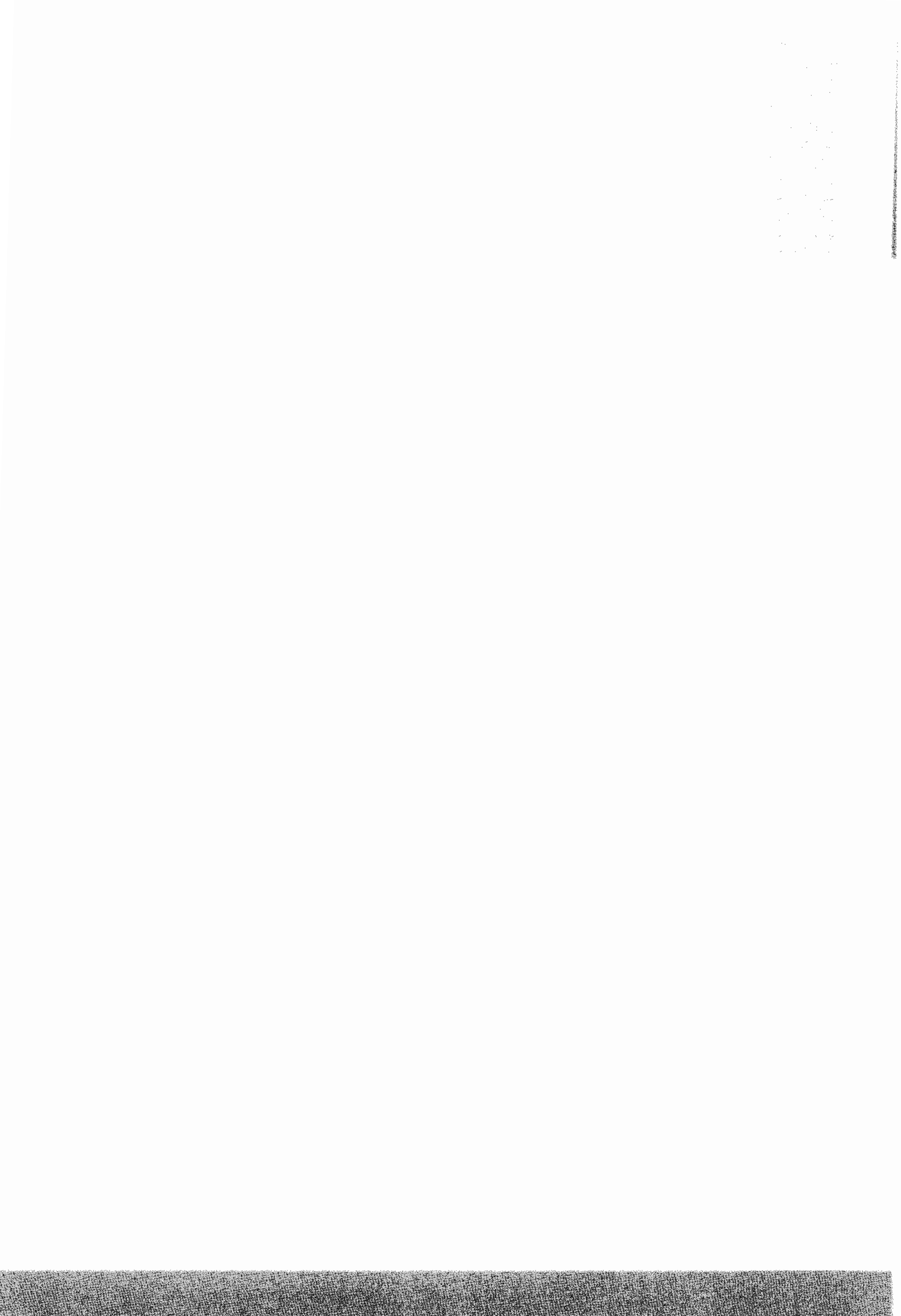
منهج القاضي عياض في شرح غريب الحديث
في كتابه مشارق الأنوار على صحاح الآثار

د. بكر بن محمد البخاري
قسم السنة وعلومها - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يُعنى البحث بإبراز كتاب من كتب المحدثين في العناية بضبط ألفاظ أحاديث النبي ﷺ؛ لئلا يتطرق إليها التصحيف والتحريف، مع تنبيههم على ما وقع فيها من ذلك، وهذا الكتاب هو كتاب القاضي عياض اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ) المسمى بـ "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" والذي ضبط فيه أسانيد ومتون صحيحي البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك، وهو كتاب لم يُسبق إليه.

وتطرق البحث إلى عناصر منها: التعريف بالمؤلف، والتعريف بالكتاب من خلال بيان جوانب منها: سبب التأليف، والغرض منه، وقيمته العلمية، ومصادره، وأثره فيمن جاء بعده، ثم التركيز على منهجه في تحرير الألفاظ وشرح الغريب من خلال بيان طريقته في ضبط الألفاظ، ومنهجه في اختيار الرواية الصحيحة، ومنهجه في شرح الغريب، وبيان عنايته بالنحو والتصريف والإعراب



المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فإن من حفظ الله تعالى لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن وفق علماء الأمة لخدمتها رواية ودراية، فكان من العلماء من أفنى عمره في روايتها وتبليغها للشادين، وكان منهم من ذبّ عنها الكذب والدخيل، وميّز الصحيح والسقيم، وكان منهم من برع في استنباط الفوائد والأحكام ..، تنوعت والقصد واحد ألا وهو خدمة السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ومن جملة ما خدمت به السنة ضبط ألفاظها، والكشف عن غريبها، والتنبيه على ما تطرق إليها من الوهم والتصحيف، ومن هذه الجهود كتاب القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى ـ الموسوم بـ "مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، والذي جمع فيه ما تفرق من كلام المتقدمين، وزاد عليها فوائد حتى غدا عمدة للمتأخرين.

ولما كان الكتاب واسع المادة، كثير الفوائد أحببت أن أبرز جانبا مهما من جوانبه ألا وهو ضبط الألفاظ وشرح غريبها، وهما غالب مادة الكتاب، وسلكت في ذلك الخطة التالية:

المقدمة

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف

المبحث الأول: حياته الشخصية

أولاً: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته

ثانياً: صفاته الشخصية

ثالثاً: وفاته

المبحث الثاني: حياته العلمية

أولاً: رحلته وطلبه للعلم

ثانياً: أشهر شيوخه

ثالثاً: أشهر تلاميذه

رابعاً: مذهبه العقدي والفقهي من خلال كتابه

خامساً: أقوال العلماء فيه

الفصل الثاني: التعريف العام بالكتاب

مدخل وفيه: تعريف عام بالمؤلفات في غريب الصحيحين والموطأ، وعناية علماء المغرب بذلك.

المبحث الأول: اسم الكتاب

المبحث الثاني: سبب تأليف الكتاب

المبحث الثالث: الغرض من تأليف الكتاب

المبحث الرابع: قيمة الكتاب العلمية

المبحث الخامس: مصادره وطريقته في الإفادة منها

المبحث السادس: أثره فيمن جاء بعده

المبحث السابع: طريقته في ترتيب الكتاب

الفصل الثالث: منهجه في تحرير الألفاظ وشرح الغريب

المبحث الأول: طريقته في ضبط الألفاظ

المبحث الثاني: منهجه في اختيار الرواية الصحيحة

المبحث الثالث: منهجه في شرح الغريب

الفصل الرابع: عنايته بالنحو والتصريف والإعراب

أولاً: عنايته بالنحو

ثانياً: عنايته بالإعراب

ثالثاً: عنايته بالصرف والاشتقاق

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

هذا، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف [1]

المبحث الأول: حياته الشخصية:

أولاً: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته:

هو أبوالفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي.

واليحصبي: نسبة إلى قبيلة من حمير سميت باسم جدهم يحصب بن مالك.

والسبتي: نسبة إلى مدينة سبتة، وموقعها على مضيق جبل طارق، عند ملتقى البحر الأبيض مع المحيط الأطلسي، وأول من نزلها جده عمرون.

مولده: ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة بمدينة سبتة.

نشأته: نشأ القاضي في بيت صون وعفاف، وعلم وأدب، وجاه ويسار، فأقبل على العلم من صغره، وحفظ القرآن، وطلب الحديث والفقه، وأهله لذلك ما كان يتمتع به من ذكاء وفطنة، مع وفرة في العلماء المتقنين، فقد كان لموقع مدينة سبتة أثر كبير في عدد شيوخ القاضي الذين أخذ عنهم، حيث كانت مجاز العلماء في رحلاتهم، فما من عالم يقصد المشرق إلا اجتاز بها معلماً أومتعلماً.

ولما بلغ الثلاثين من عمره كان قد بذّ أقرانه، وأخذ من كل علم بطرف، ووصف بالعلم، وتشوف إلى المزيد من العلم بالرحلة، وطلب السماع من الشيوخ، وضبط ما معه من الكتب والمتون.

---

١ - وقد جمعت ترجمته من المصادر التالية:

التعريف بالقاضي عياض لابنه محمد بن عياض اليحصبي.

الصلة لابن بشكوال (ت ٥٧٨): ٦٦٠/٢ رقم ٩٨٢.

بغية الملتمس للضبي (ت ٥٩٩): ٥٧٢/٢ ت ١٢٧٣.

إنباه الرواة بأنباء النحاة للقفطي (ت ٦٢٤) : ٣٦٣/٢.

المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي لابن الأبار (ت ٦٥٨) ص: ٣٠٢.

المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار (ت ٦٥٨): ص ٨٦.

وفيات الأعيان لابن خلكان (ت٦٨١): ٥٤/٣.

تاريخ الإسلام لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨): (وفيات ٥٤١-٥٥٠).

الديباج المذهب لابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩): ٤٦/٢.

أزهار الرياض في أخبار عياض للمقّري (ت ١٠٤٢).

القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث أ. البشير علي الترابي.

ثانياً: صفاته الشخصية:

عُرِف القاضي بالذكاء والفطنة والفهم من صغره، ولما رآه شيخه أبوالوليد ابن رشد عجب من نبله وذكائه.[1]

ومما ذُكر عنه أنه كان يقرأ الكتاب مرة فيحفظ غرائبه ونكاته، وهذا يدلّ على الحفظ مع شدة الرغبة في العلم.

وتواطأ مترجموه على وصفه بالصفات الجميلة والأخلاق الحميدة، ومن ذلك قول تلميذه ابن القصير الغرناطي في وصفه: (ولما استقر عندنا كان كالتمرة كلما ليكت زادت حلاوة، ولفظه عذب في كل حرف من الكلام، للنفس إليه تتوق، وله طلاوة، وكان براً بلسانه، جواداً ببيانه، كثير التخشع في صلاته، مواصلاً لصِلاته، وقد جمعنا من سيره جملاً).

وذكروا عنه مزيد حلم وتواضع وعفة، ولما ولي القضاء زادت نفقاته حتى أفلس واستدان، ومات وعليه نحو خمسمائة دينار.

ثالثاً: وفاته:

اختلف مترجموه في سبب وفاته، واتفقوا على أنه توفي خارج بلده، حيث اعتل خارج مراكش ثم نُقل إليها وبقي مريضاً عدة أيام، وتوفي بها سنة (٥٤٤).

* * *

---

١ – أزهار الرياض ٥/ ٧٩.

المبحث الثاني: حياته العلمية:

أولاً: رحلته وطلبه للعلم:

تقدم أن القاضي بدأ في الرحلة بعد الثلاثين، في جمادى الأولى سنة سبع وخمسمائة بعد أن أخذ علم بلده وسمع من شيوخها والوافدين عليها، فاتجه صوب الأندلس ونزل قرطبة فأخذ عن علمائها سماعاً وإجازة في ثمانية أشهر، ثم اتجه صوب مرسية فلقي أبا علي الصدفي فسمع منه وأجازه، وبعد أن قضى نهمته من الرحلة والسماع من حفاظ الأندلس عاد إلى سبتة عند تمام الحول في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسمائة، وقد لقي فيها نحواً من ثلاثين شيخاً ممن انتقاهم واختارهم بعناية، وكان كلما وفد على شيخ أكرمه وخصه بمزيد حفاوة، وفرّغ له من وقته ما لم يتفق لغيره إكراماً له واعترافاً بمنزلته وتقدمه في العلم.

وممن كاتبهم واستجازهم دون أن يجالسهم ويسمع منهم أبو علي الجيّاني الغسّاني وقد أجازه مراراً، وأبو عبد الله المازَري أول شرّاح صحيح مسلم.

ولا تُعرف للقاضي رحلة إلى المشرق، ولعله اكتفى بما وجده عند شيوخه والوافدين على بلده من علم المشارقة والمغاربة، وهذا يظهر بتأمل أسماء عدد من شيوخه الذين جمعوا بين سعة الرحلة وكثرة المرويات.

ثم لما عاد من رحلته إلى بلده سبتة، جلس للتدريس والمناظرة مع الاشتغال بضبط الكتب وتصحيحها، فنبه ذكره وأجلسه أهل سبتة للشورى حتى أصبح قاضي البلد ومقدّم علمائها.

ثانياً: أشهر شيوخه:

ذكر القاضي في فهرست شيوخه الذي سماه " الغنية " نحواً من مائة شيخ، وترك كثيراً ممن جالسهم وذاكرهم من الفقهاء والرواة الذين لم يحمل عنهم.

ويمكن تصنيف شيوخه بحسب طريقة أخذه عنهم إلى أنواع، فمنهم:

أ. شيوخ لقيهم وصاحبهم وأخذ عنهم الكثير، وتأثر بهم، مثل:

١. أبوعلي الحسين بن محمد الصدفي (ت ٥١٤).[١]

٢. أبوعبدالله، محمد بن عيسى التميمي (ت ٥٠٥).[٢]

٣. أبومحمد، عبدالرحمن بن محمد بن عتاب الجذامي (ت ٥٢٠).[٣]

ب. شيوخ لقيهم وأخذ عنهم قليلاً، وأجازوه بباقي رواياتهم، مثل:

١. أبوبكر، محمد بن عبدالله بن العربي (ت ٥٤٣).[٤]

ج. شيوخ لم يلقهم، ولكنهم أجازوه مكاتبة، ومنهم:

٢. أبوعلي، الحسين بن محمد الجياني (ت ٤٩٨).[٥]

٣. أبوعبدالله، محمد بن علي المازري (ت ٥٣٦).[٦]

٤. أبوطاهر، أحمد بن محمد بن أحمد السِّلفي (ت ٥٧٦).[٧]

ثالثاً: أشهر تلاميذه:

١. أبوالعباس، أحمد بن عبدالرحمن اللخمي (ت ٥٩٣).[٨]

---

١ – ترجم له في الغنية ص: ١٢٩، وقال عنه: (واتسعت روايته، وقد جمعت شيوخه في كتاب المعجم الذي ضمنته ذكره وأخباره وشيوخه وأخبارهم، وهم نحو مائتي شيخ).

٢ – ترجم له عياض في الغنية ص: ٢٧، وقال فيه: (أجل شيوخ بلدنا سبتة رحمه الله ومقَدَّم فقهائها).

٣ – ترجم له القاضي في الغية ص: ١٦٢، وقال عنه: (بقية المشيخة بقرطبة ومسنّيهم ومقدّم مفتيهم وأكبر مسنديهم..وإليه كانت الرحلة للسماع بقرطبة آخر عمره لعلو سنده وانقراض طبقته وصبره على الجلوس والإسماع آناء ليله وأطراف نهاره).

٤ – ترجم له القاضي في الغنية ص: ٦٦. وابن فرحون في الديباج المذهب ٢/٢٥٢، وقال فيه: (الإمام العلامة، الحافظ، المتبحر، ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها).

٥ – ترجمته في وفيات الأعيان ١/١٨٠، والسير ١٩/١٤٨، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: (وكان يمكنه لقيه، لكنه إنما رحل إلى الأندلس بعد موته). وفيات ٥٤١–٥٥٠ ص: ١٩٩.

٦ – ترجم له القاضي في الغنية ص: ٦٥، وقال عنه: (إمام بلاد أفريقية وما وراءها من المغرب، وآخر المستقلين من شيوخ أفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر). والديباج المذهب ٢/٢٥٠.

٧ – له ترجمة في وفيات الأعيان ١/٢٠٥، وقال عنه: (أحد الحفاظ المكثرين، رحل في طلب الحديث ولقي أعيان المشايخ، وكان شافعي المذهب). وترجم له د. حسن عبدالحميد صالح في كتاب بعنوان "الحافظ أبوطاهر السلفي".

٨ – ترجم له في الديباج المذهب ١/٢٠٨، وقال فيه: (كان مقرئاً مجوداً، محدثاً مكثراً، قديم السماع، واسع الرواية عاليها، ضابطاً لما يحدث به، ثقة فيما يأثره.. ماهراً في كثير من علوم الأوائل كالطب=

٢. أبوجعفر، عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الغرناطي، المعروف بابن القصير (ت ٥٧٦).[١]

٣. أبوالقاسم، خلف بن عبدالملك ابن بشكوال (ت ٥٧٨).[٢]

رابعاً: مذهبه العقدي والفقهي من خلال كتابه:

أ. مذهبه العقدي:

القاضي أشعري العقيدة، ظهر ذلك في كتابه من خلال تأويل صفات الله تعالى.[٣]

تأويل الصفات الذاتية لله تعالى:

قال في معنى اليد: (ومثل هذا مما جاء في الحديث والقرآن من إضافة اليد إلى الله تعالى، اتفق المسلمون، أهل السنة والجماعة أن اليد هنا ليست بجارحة ولا جسم ولا صورة، ونزهوا الله تعالى عن ذلك إذ هي صفات المحدَثين، وأثبتوا ما جاء من ذلك إلى الله تعالى وآمنوا به ولم ينفوه، وذهب كثير من السلف إلى الوقوف هنا ولا يزيدون ويُسلِّمون، ويكِلُون علم ذلك إلى الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وكذلك قالوا في كل ما جاء من مثله من المتشابه.

وذهب كثير من أئمة المحققين من المتكلمين منهم إلى أنها صفات عُلِمَت من جهة الشرع، فأثبتوها صفات زائدة على الصفات التي يقتضيها العقل من العلم والقدرة والإرادة والحياة، ولم يتأولوها ووقفوا هنا.

=والحساب، والهندسة، ثاقب الذهن، متوقد الذكاء، متين الدين، طاهر العرض، حافظاً للغات، بصيراً بالنحو ممتازاً فيه، مجتهداً في أحكام العربية، منفرداً بآراء ومذاهب شذبها عن مألوف أهلها).

١ – ترجم له في الديباج المذهب ٤٨٦/١، وقال عنه: (كان فقيها مشاوَراً، رفيع القدر، جليلاً، بارع الأدب، عارفاً بالوثيقة نقاداً لها، صاحب رواية ودراية).

٢ – ترجم له في الديباج المذهب ٣٥٣/١، وقال عنه: (كان رحمه الله متسع الرواية، شديد العناية بها، عارفاً بوجوهها، حجة فيما يرويه ويسنده، مقلداً فيما يلقيه ويسمعه، مقدماً على أهل وقته في هذا الشأن .. كان موصوفاً بالصلاح، وسلامة الباطن، وصحة التواضع، وصدق الصبر للراحلين إليه، ولين الجانب، وطول الاحتمال في الكَبْرة للإسماع رجاء المثوبة) وهو صاحب كتاب "الصلة" الذي وصل به كتاب ابن الفرضي..

٣ – وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية القاضي عياض ضمن (طائفة ليس لهم خبرة بالعقليات، بل هم يأخذون ما قاله النفاة عن الحكم والدليل ويعتقدونها براهين قطعية، وليس لهم قوة على الاستقلال بها، بل هم في الحقيقة مقلدون فيها). درء تعارض العقل والنقل ٣٢/٧–٣٣.

وذهب آخرون منهم إلى تأويلها على مقتضى اللغة التي أرسل بالبيان بها صاحب الشرع ﷺ كما قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)، فتأولوا اليد على القدرة، وعلى المِنَّة، وعلى النعمة والقوة والملك والسلطان والحفظ والوقاية والطاعة والجماعة؛ بحسب ما يليق تأويلها بالموضع الذي أتت به. وكذلك تأولوا غيرها من الألفاظ المشكلة، ولكل قول من ذلك سلف وقدوة ووجه وحجة، ولا تخالف بينهم في ذلك إلا من جهة الوقوف أو البيان، وهم متفقون على الأصل الذي قدمناه من التنزيه والتسبيح لمن ليس كمثله شيء، خلافاً للمجسمة المبتدعة الملحدة).[١]

ومعنى الوقوف في كلامه تفويض المعنى لا إثبات المعنى وتفويض الكيف كما هو مذهب أهل السنة، وأما مراده بالمتشابه والمشكل آيات وأحاديث الصفات.

وقال في حديث "يضع السماوات على أصبع":(قيل: الإصبع صفة سمعية لله تعالى، لا يقال فيها أكثر من ذلك كاليد، وهذا مذهب الأشعري وبعض أصحابه، وقد يحتمل أن يكون إصبعاً من أصابع ملائكته، أو خلقاً من خلقه سماه إصبعاً، وقيل: هي كناية عن القدرة وعن النعمة، وقيل: قد يكون المراد ضرب المثل من أنه لا تعب عليه ولا لغوب في إظهار المخلوقات كلها ذلك اليوم، وأنه في حقنا كمن يخف عليه ما يحمله بإصبعه كما قال تعالى (وما مسنا من لغوب).[٢]

تأويل الصفات الاختيارية لله تعالى:

قال في معنى الحديث "ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي يتغنى بالقرآن":(وهو تعالى لا يشغله شأن عن شأن، وإنما هو استعارة للرضى والقبول لقراءته وعمله والثواب عليه).[٣]

وقال في معنى الغضب:(الغضب في غير حق الله: حدة حفيظة وهيجان حمية، وهي في حق الله تعالى إرادة عقاب، وإظهار عقابه وفعله ذلك به).[٤]

---

١ – المشارق ٢/٣٠٣.

٢ – المشارق ١/٤٧. وانظر كلامه في: اليمين ٢/٣٠٤، والنور ١/٤٦، والقدم ١/١٣٨.

٣ – المشارق ١/٢٥

٤ – المشارق ٢/١٣٧، وانظر كلامه على: الطبع في ١/٣١٨، والختم في ١/٢٣٠، والنزول ٢/٩، والكلام ١/٣٤١، والفرح ٢/١٥١، والصوت ٢/٨.

ب ـ مذهبه الفقهي:

القاضي عياض مالكي المذهب، تلقاه عن شيوخ المذهب، ودرس كتب المذهب وضبطها، وهذا ظاهر في كتبه وإن لم يظهر جليا في كتابه المشارق؛ إذ ليس موضوعه بيان الفقهيات، وإن كان يشير أحياناً لبعض المسائل دون تفصيل، ويحيل إلى كتابه "إكمال المعلم" في شرح صحيح مسلم.

وأنقل هنا نماذج من إشاراته الفقهية لتعرف طريقته في ذلك:

ـ علّق على قول أنس ﷺ (كان لي أبزن أتقحم فيه) قال: (وإنما أراد أنس أنه شيء يتبرد فيه وهو صائم؛ يستعين بذلك على صومه من الحر والعطش، ولم ير بذلك بأساً، وهو قول العلماء، وكرهه بعضهم حتى كره إبراهيم للصائم أن يبل عليه ثيابه يريد من الحر).[1]

وقال في الذبح بالسن والظفر: (وقد اختلف الفقهاء في الذبح بهما أعني السن والظفر كانا متصلين أو منفصلين على ما بسطناه من مذهبنا ومذاهبهم في شرحنا لمسلم).[2]

وقال في حديث " جعلت لي الأرض طيبة طهوراً": (أي طاهرة مطهرة، و"فتيمموا صعيداً طيباً" و"يتيمم صعيداً طيباً كما أمره الله". قال ابن مسلمة: معناه طاهراً، ولم يرد غيره. وهو تأويل مالك وأصحابه في الآية. وتأوله غيره أن معناه مُنْبِتاً. وقوله "جعلت لي الأرض طيبة طهوراً" أقوى حجة لمالك في ذلك أن معناه طاهرة مطهرة، فكرر اللفظ للفائدة الزائدة في تطهيرها لغيرها، ولم يخص عليه السلام بأنها منبتة).[3]

خامساً: أقوال العلماء فيه:

قال تلميذه أبو القاسم ابن بَشْكُوال: (جمع من الحديث كثيراً، وكان له عناية كثيرة به، واهتمام بجمعه وتقييده، وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم).[4]

---

١ – المشارق ١/١٢.

٢ – المشارق ١/ ٣٢٩.

٣ – المشارق ١/٣٢٣، وانظر تفسير القرطبي ٦/ ٣٩١.

٤ – الصلة لابن بشكوال ٢/ ٦٦٠ رقم ٩٨٢.

وقال ابن الأبّار: (وكان لا يدرك شأوه، ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الآثار، وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه، والتصرف الكامل في فهم معانيه، إلى اضطلاعه بالآداب، وتحققه بالنظم والنثر، ومهارته في الفقه، ومشاركته في اللغة والعربية، وبالجملة فكان جمال العصر، ومفخرة الأفق، وينبوع[1] المعرفة، ومعدن الإفادة، وإذا عدّت رجالات المغرب فضلا عن الأندلس حسب فيهم صدراً).[2]

وقال ابن فَرْحُون المالكي: (كان القاضي أبو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه، عالما بالتفسير وجميع علومه، فقيها، أصوليا، عالما بالنحو، واللغة، وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، بصيراً بالأحكام، عاقداً للشروط، حافظا لمذهب مالك رحمه الله تعالى، شاعراً مجيداً ريّاناً[3] من الأدب، خطيبا بليغا، صبوراً، حليماً، جميل العشرة، جواداً، سمحاً كثير الصدقة، دؤوبا على العمل، صُلْبا في الحق).[4]

* * *

١– في طبعة المستشرق فرانسسكو كوديرا ص ٢٩٦: "بلبوع المعرفة"، وهو تصحيف ظاهر.

٢ – المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لابن الأبار ط.الأبياري ص ٣٠٢.

٣ – كذا وردت مصروفة، والصواب "ريان" غير مصروفة.

٤– الدّيباج المُذْهَب ٢/٤٧.

الفصل الثاني: التعريف العام بالكتاب

مدخل:

١. تعريف عام بالمؤلفات في غريب الصحيحين والموطأ:

المراد بالغريب كما قال ابن الصلاح: (عبارة عما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلة استعمالها).[١]

وقد تنوعت مناهج المؤلفين في غريب الحديث، فمنهم من لم يتقيد بكتاب أو كتب مخصوصة، ومنهم من تقيد بذلك.[٢] ومن هذه الكتب كتاب القاضي عياض، فقد خصه بالصحيحين والموطأ، وممن سبقه إلى ذلك أو بعضه:

١. تفسير غريب الموطأ لأبي عبدالله، أصبغ بن الفرج (ت ٢٢٥).[٣]

٢. تفسير غريب الموطأ لعبدالملك بن حبيب السُّلمي الأندلسي (ت ٢٣٥).[٤]

٣. غريب الموطأ للأخفش البصري، أحمد بن عمران النحوي اللغوي (توفي قبل ٢٥٠).[٥]

٤. كتاب في تفسير البخاري على حروف المعجم، لأبي الوليد هشام بن عبدالرحمن الصابوني (ت ٤٢٣)، وقال عنه ابن بشكوال في الصلة: كثير الفوائد.[٦]

٥. تفسير غريب الصحيحين لأبي عبدالله، محمد بن أبي نصر، فتوح الحميدي (ت ٤٨٨).[٧] وهو صاحب الجمع بين الصحيحين، وألّف كتابه هذا لبيان غريب ألفاظ الصحيحين الواقعة فيه.

---

١ - المقدمة ص: ٢٧٢. وللتوسع في معاني الغريب عند المحدثين وغيرهم ينظر الفصل الأول من كتاب معاجم غريب الحديث والأثر للسيد الشرقاوي ص ٩ وما بعدها.

٢ - ينظر لمعرفة مناهج المؤلفين في غريب الحديث تفصيلاً كتاب: معاجم غريب الحديث والأثر للدكتور سيد الشرقاوي ص ٥٢ وما بعدها.

٣ - ذكره ابن فرحون في الديباج المذهب ٣٠٠/١.

٤ - وهو مطبوع بتحقيق الدكتور عبدالرحمن العثيمين، وقد عقد المحقق فصلا بعنوان : "شروح الموطأ"، ذكر فيه الشروح ومنها شرح الغريب. ص ٦٣-١٥٠.

٥ - ذكره ابن الصلاح في المقدمة ص:٢٤١. وبغية الوعاة ٣٥١/١.

٦ - الفهرست لابن خير ١٩٨، والصلة ٩٣٥/٣ ت ١٤٤٠.

٧ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢٨٢/٤.

٦. المفهم لشرح غريب صحيح مسلم للحافظ عبدالغافر بن إسماعيل بن عبدالغافر الفارسي (٥٢٩).[1]

٢. عناية علماء المغرب بضبط الألفاظ:

تقدم أن القاضي سُبق إلى التأليف في غريب الصحيحين والموطأ، كما أنه سُبق إلى التأليف في ضبط أسانيدها وألفاظها؛ لكن الذي امتاز به كتابه الجمع بين هذه الكتب الثلاثة مع الاستيعاب والتحرير والتدقيق، وقد أشار ـ رحمه الله ـ إلى عناية أهل المغرب بهذه العلوم في كتابه الإلماع، في باب ضبط اختلاف الروايات والعمل في ذلك، فقال: (والناس مختلفون في إتقان هذا الباب اختلافاً يتباين، ولأهل الأندلس فيه يد ليست لغيرهم، وكان إمام وقتنا في بلادنا في هذا الشأن الحافظ أبوعلي الجياني؛ شيخنا ـ رحمه الله ـ من أتقن الناس بالكتب وأضبطهم لها، وأقومهم لحروفها، وأفرسهم ببيان مشكل أسانيدها ومتونها، وأعانه على ذلك ما كان عنده من الأدب، وإتقانه ما احتاج إليه من ذلك على شيخه الشيخ أبي مروان بن سراج اللغوي ـ آخر أئمة هذا الشأن ـ وصحبته للحافظ أبي عمر بن عبدالبر ـ آخر أئمة الأندلس في الحديث ـ وأخذه عنه، وتقييده عليه، وكثرة مطالعته ..).[2] كما أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه مشارق الأنوار على ما سيأتي ذكره إن شاء الله.

---

١ – كذا سماه ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٥، وسماه ابن كثير في البداية والنهاية ١٦/ ٣٨٠: "المفهم في غريب مسلم". وسماه اليافعي في مرآة الجنان ٣/ ٢٥٦: "المفهم في شرح مختصر صحيح مسلم"، وكأنه التبس عليه بشرح أبي العباس القرطبي. والله أعلم.

٢ – الإلماع ص: ١٩٢، ١٩٣.

المبحث الأول: اسم الكتاب:

صرّح القاضي باسمه في المقدمة فقال: "مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، وكذا سماه في كتابه الإلماع.[1]

وسماه ابنه محمد في ترجمته لأبيه "مشارق الأنوار على صحيح الآثار"[2]

وذكره المقّري ضمن إجازة بخط المؤلف فيها ذكر لبعض مؤلفاته، ومنها: "مشارق الأنوار على مبهم صحائح الآثار"، وقد أرخت الإجازة بمحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة.[3]

وقال ياقوت الحموي ضمن كلام له: (قال القاضي عياض المغربي في كتاب "مطالع الأنوار")، فغيّر الاسم ولم يذكره تاماً.[4]

والمعتمد ما نصّ عليه مؤلفه في مقدمة الكتاب.

* * *

---

١ – المشارق ٧/١، والإلماع ص: ١٦٨.

٢ – التعريف بالقاضي عياض ص ١١٧.

٣ – أزهار الرياض ٤/ ٣٥٠.

٤ – معجم البلدان ٤/ ٣٥٤ (قدوم).

المبحث الثاني: سبب تأليف الكتاب :

يمكن أن نستخلص جملة من الأسباب ذكرها في مقدمة كتابه، وهي:

١. تساهل أهل زمانه بالرواية وقلة الضبط لها، مما أوقع في كثير من التحريف والتصحيف، مع قلة من يضبط ذلك ويحرره حتى (تكلم الأكياس والنقاد من الرواة في ذلك بمقدار ما أوتوه فمن بين غالٍ ومقصر، ومشكور عليم، ومتكلف هجوم، فمنهم من جسر على إصلاح ما خالف الصواب عنده وغيّر الرواية بمنتهي علمه وقدر إدراكه وربما كان غلطه في ذلك أشد من استدراكه، لأنه متى فتح هذا الباب لم يوثق بعد بتحمل رواية ولا أنس إلى الاعتداد بسماع، مع أنه قد لا يسلم له ما رآه ولا يوافق على ما أتاه، إذ فوق كل ذي علم عليم، ولهذا سدّ المحققون باب الحديث على المعنى وشددوا فيه وهو الحق الذي أعتقده ولا أمتريه..).[1]

٢. الحاجة إلى تأليف كتاب جامع في الغريب وضبط الألفاظ والأسانيد وبيان تصحيفات المحدثين، يستغني به الطالب عما عداه، ولا يضره أن لا يوجد عنده من الشروح غيره.

٣. لم يجد في الكتب المؤلفة ما يفي بالحاجة لأنها إما موضوعة على غير هذه الكتب الثلاثة، أو مقتصرة على نتف متفرقة، أو خاصة بكتاب دون آخر مع ما فيها من اقتصار على ضبط الألفاظ والأسماء والأنساب دون الغريب أو العكس على نقص فيها وعدم استيعاب.

* * *

---

١ - المشارق ١/ ٤.

المبحث الثالث: الغرض من تأليف الكتاب :

لمّا ذكر القاضي ـ رحمه الله ـ شيوع التصحيف والتحريف، وقلة الضبط مع عدم وجود كتاب جامع يشفي الغليل، جمع عزمه وفرّغ من وقته لسدّ الحاجة، ورتّب كتابه على الحروف تسهيلاً للطالع، وذكر ترتيبه ومنه يتبيّن مقصوده، فقال: (بدأت في أول كل حرف بالألفاظ الواقعة في المتون المطابقة لبابه على الترتيب المضمون، فتولينا إتقان ضبطها بحيث لا يلحقها تصحيف يظلمها، ولا يبقى بها إهمال يهملها، فإن كان الحرف مما اختلفت فيه الروايات نبهنا على ذلك وأشرنا إلى الأرجح والصواب هنالك .. وترجمنا فصلا في كل حرف على ما وقع فيها من اسماء أماكن من الأرض وبلاد يشكل تقييدها ويقل متقن أساميها ومجيدها، ويقع فيها لكثير من الرواة تصحيف ... ثم نعطف على ما وقع في المتون في ذلك الحرف بما وقع في الإسناد من النص على مشكل الأسماء والألقاب، ومبهم الكنى والأنساب، وربما وقع منه من جرى ذكره في المتن؛ فأضفناه إلى شكله من ذلك الفن، .. وذكرنا في آخر كل فصل من فصول كل حرف ما جاء فيه من تصحيف ونبهنا فيه على الصواب والوجه المعروف، ودعت الضرورة عند ذكر ألفاظ المتون وتقويمها إلى شرح غريبها وبيان شيء من معانيها ومفهومها دون نقص لذلك ولا اتساع إلا عند الحاجة لغموضه أو الحجة على خلاف يقع هنالك في الرواية أو الشرح ونزاع، إذ لم نضع كتابنا هذا لشرح لغة وتفسير معان، بل لتقويم ألفاظ وإتقان).[1]

ويتلخّص من هذا أنه قصد في كتابه بيان ما يلي:

١ . ضبط وتقويم ألفاظ الصحيحين والموطأ ضبطاً يؤمن معه من التصحيف والتحريف.

٢ . بيان اختلاف الروايات، وبيان الصحيح منها، وما كان فيه تصحيف وتحريف.

٣ . شرح الغريب وبيان المعاني.

٤. بيان مشكل الأسماء والألقاب ومبهم الكنى والأنساب.

٥ . التعريف بالأمكنة والبلاد.[2]

---

١ – المشارق ١/٦، ٧.

٢ – مما ينبه عليه أن القاضي لا يقتصر عمله على ضبطِ وحلِّ إشكالاتِ ما وقع في الأحاديث؛ بل أضاف إلى ذلك ما يقع في الأبواب، ومن أمثلة ذلك:

وذكر سبب اقتصاره على هذه الأصول الثلاثة حيث قال: (جمع ما وقع من ذلك في جماهير تصانيف الحديث وأمهات مسانيده ومنثورات أجزائه يطول ويكثر، وتتبع ذلك مما يشق ويعسر، والاقتصار على تفاريق منها لا يرجع إلى ضبط ولا يحصر، فأجمعت على تحصيل ما وقع من ذلك في الأمهات الثلاث الجامعة لصحيح الآثار التي أجمع على تقديمها في الأعصار وقبلها العلماء في سائر الأمصار.. إذ هي أصول كل أصل ومنتهى كل عمل في هذا الباب..).[1]

وإذا قارنا بين ما يذكره من ضبط ألفاظ المتون وبيان معانيها، وبيان الاختلاف والوهم، وضبط الأسماء والأماكن؛ نجد أنها على الترتيب من حيث المادة العلمية؛ فإننا نجد ضبط الألفاظ وبيان معانيها في جميع الحروف، وكذلك فيما تفرَّع عنها من الحرف الثاني والثالث، بينما نجد بيان الاختلاف والوهم في بعض المواد، وأما الأسماء والأماكن فيذكرها في آخر كل حرف.

أ . قال: (في صدر مسلم عند ذكر الأخبار الضعيفة قوله: ورد مقالته بقدر ما يليق بها من الرد أحرى على الاثام كذا عند العذري بالحاء والراء في الكلمة الأولى وبالثاء في الثانية، وعند ابن ماهان: الايام بالياء اخت الواو وكلاهما وهم لا معنى له يصح هنا، وصوابه عند الفارسي أجدى على الأنام بالجيم والدال في الأولى وبالنون في الثانية؛ أي أنفع لهم بدليل قوله بعد: وأحمد للعاقبة) ١/ ١٩. ولم يعلق عليه في الإكمال ١/ ١٦٢، وعبارة الإمام مسلم عند ذكره قول من اشترط السماع بين المتعاصرين حيث قال: .. رأينا الكشف عن فساد قوله ورد مقالته بقدر ما يليق بها من الرد أجدى على الأنام، وأحمد للعاقبة إن شاء الله).

ب. وقال: (قوله في التفسير "حتى تضع الحرب أوزارها" آثامها. كذا في النسخ للبخاري، قال القابسي: لا أدري ما هو ؟ وأي آثام للحرب توضع ؟) ثم أجاب عن ذلك. ١/ ١٩.

ج . وقال: (وقوله في تقسيم الحديث " وأضرابهم من حمال الآثار" كذا قاله مسلم، والوجه ضربائهم؛ لأن ضرباً قلّ ما يجمع على أضراب. والضرب: المثل والشبه) ١/ ٣٣٢. وقول مسلم في المقدمة، ولم يعلق القاضي على الكلمة في الإكمال ١/ ٩٦.

د. قال: (وفي تراجم البخاري: "باب الاطمأنينة"، بكسر الهمزة وضمها، وكذا ذكره في حديث أبي حميد قبله ومعناه السكون. كذا لجمهورهم . وعند القابسي "الطمأنينة" وهو الصواب.) ثم بين ذلك وشرحه ١/ ٣٢٥. يشير إلى: باب الاطمأنينة حين يرفع رأسه من الركوع من كتاب الأذان، وقد علق الحافظ ابن حجر على الباب بقوله: (كذا للأكثر، وللكشميهني "الطأنينة"، وقد تقدم الكلام عليها في باب استواء الظهر). فتح الباري ٢/ ٣٣٦، وقال في الموضع المحال إليه: (كذا للأكثر بكسر الهمزة، ويجوز الضم وسكون الطاء، وللكشميهني "والطمأنينة" بضم الطاء، وهي أكثر في الاستعمال). ٢/ ٣٢٢.

١ – المشارق ١/ ٥.

المبحث الرابع: قيمة الكتاب العلمية

يعدّ كتاب مشارق الأنوار من آخر ما ألفه القاضي، فلما خرج الكتاب للناس بعد وفاته، ذاع صيته وامتدحه العلماء، ومن ذلك:

قال المقّري: (ولقد كان بعض من لقيته من صلحاء عصرنا وعلمائه يقول: لا أحتاج في كتب الحديث إلا للمشارق، فإذا كان عندي فلا أبالي بما فقدت منها، أو كلاماً هذا معناه).[1]

وكان الحافظ ابن الصلاح حفياً به، قال أبوعبدالله محمد بن محمد الشاطبي: أنشدنا الإمام تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح لنفسه في "مشارق الأنوار" - وكان لا يُغِبّ مطالعته والاستفادة منه بعد قعوده لإسماع الحديث بالدار الأشرفية بدمشق -:

مشارق أنوارٍ تَبدّت بسَبْتَةٍ　　　وذا عجبٌ كون المشارق بالغَرْبِ[2]

وقال ابن خلكان: (وهو كتاب مفيد جداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة، وهي: الموطأ، والبخاري، ومسلم).[3]

وقال ابن فَرْحُون: (وهو كتاب لو كتب بالذهب، أو وزن بالجوهر، لكان قليلاً في حقه).[4] وكذا قال الكتاني.[5]

وقبل تفصيل ما تميز به كتاب المشارق أشير إلى العلاقة بين مشارق الأنوار وإكمال المُعْلِم، فأقول: ذكر ابن القاضي في تسمية مؤلفات والده أن منها ما أكمله في حياته وقرئ عليه، ومنها كتاب إكمال المعلم في شرح مسلم، ومنها ما تركه في مبيضاته، ومنها مشارق الأنوار على صحيح الآثار[6]، وقال المقّري: (وهو من أجل الدواوين وأنفعها،

---

١ - أزهار الرياض في أخبار عياض: ٢١/٣.

٢ - المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الأبّار ص ٨٦، وقد ذيّل على البيت جماعة، انظر أزهار الرياض: ٢٤٢/٤، ٢٤٣.

٣ - وفيات الأعيان: ٤٨٣/٣.

٤ - الديباج المذهب ٤٩/٢.

٥ - الرسالة المستطرفة، ص:١٥٧.

٦ - التعريف بالقاضي عياض ص ١١٦-١١٧.

ويقال إن القاضي أبا الفضل توفي ولم يخرجها من مبيضاتها، فخرجها بعده الحافظ المحدث أبوعبدالله محمد بن سعيد الطراز [ت ٦٤٥][1].

ومقتضى هذا أن كتاب مشارق الأنوار كان مؤلّفا كاملا بيد أنه لم يخرجه للناس، ويؤيده أنه أشار في مقدمة كلٍ منهما إلى الآخر،[2] وكان يحيل إليه في الأثناء، لئلا يكرر الكلام، ولاختصاص كل من الكتابين بموضوع مستقل، فكتاب المشارق لضبط الألفاظ، والإكمال للشرح والبيان، ولا يقع التكرار إلا عند الحاجة وعلى خلاف الأصل، كما أنه تقدم أن القاضي أجاز بكتابه سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، أي قبل وفاته باثنتي عشرة سنة.[3]

وبتأمل الكتاب، نجد أنه امتاز بميزات كثيرة، منها:

١ ـ جمعه بين شرح الغريب وضبط الأسانيد والمتون والتنبيه على الأوهام وغير ذلك من الفوائد، وهي طريقة مبتكرة لم يُسبق إليها.

---

١ – أزهار الرياض ٤/ ٣٤٣.

٢ – قال القاضي في مقدمة الإكمال (٧٢/١) : (وعند الوقوف على ما أودعناه هذا التعليق وضمناه الكتاب الآخر الذي بين أيدينا المسمى بمشارق الأنوار على صحايح الآثار المشتمل عليها الأمهات الثلاث، موطأ الإمام أبي عبدالله مالك بن أنس المدني، وصحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، وصحيح الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ـ رضي الله عنهم أجمعين ووفاهم جزاء صنيعهم ـ تقف على مقدار ما أشرنا إليه، وكثرة ما أغفل في الكتابين [يعني كتاب تقييد المهمل للجيّاني والمُعْلِم للمازَري] من الفَنَّيْنِ عليه). وقال في موضع آخر (٧٤/١): (وقد تركنا كثيراً مما تعلق بعلم الإسناد مما لم يذكره الشيخ الحافظ أبو علي أو ذكره ولم يذكره الإمام أبو عبدالله، إذ غالب ما ذكره في هذا الباب مما في كتاب الحافظ أبي علي، ولم نتتبعه لاستقصائه في الكتاب الآخر).
وفي المقابل قال في مقدمة المشارق (٧/١): (.. ودعت الضرورة عند ذكر ألفاظ المتون وتقويمها إلى شرح غريبها وبيان شيء من معانيها ومفهومها دون نقص لذلك ولا اتساع إلا عند الحاجة لغموضه أو الحجة على خلاف يقع هنالك في الرواية أو الشرح ونزاع إذْ لم نضع كتابنا هذا لشرح لغة وتفسير معان بل لتقويم ألفاظ وإتقان، وإذ قد اتسعنا بمقدار ما تفضل الله به وأعان عليه في شرحنا لكتاب صحيح مسلم المسمى بالإكمال).
وأشير هنا إلى أن كلام المقّري السابق يفهم منه تأخر تأليف كتاب المشارق، لكن ذكره لكل من الكتابين في مقدمة الآخر، وإحالته إليه في الأثناء تشكل على ذلك، وكأن القاضي كان يؤلف الكتابين جميعاً، ثم لما انتهى من كل منهما كتب مقدمته: فجاءت مطابقة لواقع الكتاب. والله أعلم.

٣ – أزهار الرياض ٤/ ٣٥٠.

٢. زيادته على من سبقه، واعتماد من لحقه عليه، ومثال ذلك:

أخرج مسلم في صحيحه، في كتاب الأدب حديث (إن أخنع اسم عند الله رجل يسمى ملك الأملاك)، وفيه أن سفيان بن عيينة قال:(شاهان شاه).[١]

قال القاضي في المشارق: قوله: (شاه شاه) فسره في الحديث مالك الملوك، وهو كلام فارسي، وجاء في الرواية الأخرى (شاهان شاه). قال بعضهم: صوابه: شاه شاهان، أي مالك الملوك. وهذا لا يُحتاج إليه، إنما قاسه على كلام العرب، وكلام العرب بخلافه وعلى عكسه من تقديم الجمع والنسبة وغير ذلك. كأنه يقول: الملوك هذا ملكهم، وقد تقدم الكلام على معنى الحديث في حرف الخاء.[٢]

وهذه الرواية لم يذكرها المازَري مع عنايته بالروايات، ونقلها النووي في شرحه عن القاضي.[٣]

وسيأتي ذكر من نقل عنه واعتمده من العلماء في مبحث (أثره فيمن جاء بعده).

٣ . جمع ما وقف عليه من روايات الكتب الثلاثة من روايات المشارقة والمغاربة، فكان يذكر من فروق الروايات، ويعلق عليها بما يقتضيه المقام، وبعض هذه الروايات مما تفرد به أهل المغرب، فأهل المشرق يروون صحيح مسلم من طريق إبراهيم بن سفيان المروزي عن الإمام مسلم، واعتمد على هذه الرواية النووي في شرحه، وساق سنده إليها، وأما عياض فإنه يرويها من طرق متعددة متقنة، ويزيد عليها برواية أبي محمد أحمد بن علي القلانسي، وهي رواية يتفرد بها أهل المغرب وليس لها ذكر عند غيرهم كما يقول ابن الصلاح[٤]. ومن طالع قليلاً الشروح الثلاثة، أعني شرح المازري والقاضي والنووي تبين له تفوق القاضي في إثبات فروق الروايات واعتنائه بتحريرها بما لا مزيد عليه.

---

١ - صحيح مسلم: كتاب الآداب ص ٩٥٥ ح ٥٦١٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ - المشارق ٢٤٣/٢، وذكر نحواً من هذا الكلام في الإكمال ١٩/٧، وكأن ما في المشارق اختصار له.

٣ - شرح النووي على مسلم ٣٦٩/١٤.

٤ - صيانة صحيح مسلم ص: ١٠٩ حيث يقول:(دخلت روايته إليهم من مصر على يدي من رحل منهم إلى جهة الشرق، كأبي عبدالله محمد بن يحيى الحذّاء التميمي القرطبي).

وقد ذكر القاضي في مقدمة المشارق هذه الفائدة، فقال: (فإذا كملت بحول الله هذه الأغراض، وصحت تلك الأمراض، رجوت ألا يبقى على طالب معرفة الأصول المذكورة إشكال، وأنه يستغني بما يجده في كتابنا هذا عن الرحلة لمتقني الرجال، بل يكتفي بالسماع على الشيوخ إن كان من أهل السماع والرواية، أو يقتصر على درس أصل مشهور الصحة، أو يصحح به كتابه ويعتمد فيما أشكل عليه على ما هنا إن كان من طالبي التفقه والدراية ..).[1]

أي أن كتابه مصدر معتبر في ضبط الرواية، وبهذا تظهر قيمة الفوائد الآتية.

٤. يذكر الوهم في الرواية، ويبين من أي الرواة وقع الوهم، وبهذا تندفع تهمة الوهم عن الأئمةِ أصحابِ الكتب الثلاثة أو من فوقهم من الرواة، وهذا من جملة الذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥. يستفاد منه في التمييز بين ما كان لفظا مرويا وما كان وهما من الرواة، كما أنه يستفاد منه في زماننا للتمييز بين الألفاظ المروية والأخطاء المطبعية التي توارد عليها الطابعون.

٦ . عنايته بالإعراب، والمشهور أن أول من صنف في إعراب الحديث أبوالبقاء العكبري في كتابه "إعراب الحديث النبوي".[2] يقول خوندكار في خاتمة رسالته:(إن عياضاً أول من عني عناية منتظمة بإعراب الحديث النبوي الشريف ولعلنا نعد كتابه "مشارق الأنوار" أول كتاب في إعراب الحديث، حيث رأينا أنه أعرب أكثر من مائتي نص حديثي في هذا الكتاب. وهذا العدد وإن كان نصف ما أعربه العكبري في كتابه "إعراب الحديث النبوي" فإننا نرى أن القاضي له فضل السبق).[3]

---

١ – المشارق ٧/١.

٢ – انظر مقدمة محقق الكتاب ص: ٤٦، بيد أن كتاب القاضي يمتاز عنه بالتوقي كثيراً قبل إصدار الحكم بوهم الراوي أو لحن الرواية خلافاً لأبي البقاء حيث أخذ عليه ذلك مع كون الرواية لها محمل لغوي معتبر قد ينبه هو عليه أحياناً. وانظر مقدمة المحقق ص:٥٢.

٣ – المسائل النحوية والتصريفية في كتاب مشارق الأنوار ص: ٧٤٥.

٧ . عنايته بتوجيه الروايات، وعدم التجاسر على توهيم الرواة بدون حجة ظاهرة، فقد كان ينعى على من أصلح شيئاً لم يبلغه علمه، فيكون قد بدّل الخطأ بالصواب، ومن ذلك قوله:(ولهذا قد شاهدنا من الإصلاحات لمثل هذا لبعض المتجاسرين، وأكثرهم من المحدثين والمتأخرين ما الصواب فيما أنكروه، وعين الخطأ ما أصلحوه)[١]، وقال:(وكان القاضي أبوالوليد الكناني ممن أتقن، وربما تكلّف في الإصلاح والتقويم بعض ما نعي عليه).[٢] وبتوجيه الروايات وتصحيحها تندفع كثير من شبه المعترضين على الاحتجاج بالحديث النبوي في اللغة والنحو.[٣]

٨ . كثرة مصادره التي اعتمد عليها، واحتفال من جاء بعده بكتابه ونقلهم عنه، وهذا ما سيظهر. إن شاء الله . في المبحثين الآتيين.

* * *

١ – الإلماع، باب التصحيح والتمريض والتضبيب. ص:١٦٧.

٢ – الإلماع، باب ضبط اختلاف الروايات والعمل في ذلك. ص:١٩٣. والمقصود بالكلام هنا أبو الوليد الوقّشي في كتابه التعليق على الموطأ.

٣ – يُنظر في هذه المسألة كتاب " الحديث النبوي في النحو العربي" للدكتور محمود فجال، وقد ذكر الأقوال وناقشها، ولخص في خاتمة كتابه أنواع الروايات الحديثية التي اعترض عليها النحاة، فقال: (بان لنا بوضوح أن الروايات المخالفة للقواعد النحوية أنواع، أذكر منها ثلاثة أنواع:

النوع الأول: روايات أخذت من كتب اللغة وغيرها من الكتب غير المتخصصة في الحديث الشريف، وهي ليست بحجة في رواية الحديث..

النوع الثاني: روايات أخذت من كتب الحديث، ولكنها روايات قليلة، أو شاذة، أو نادرة، مع وجود الرواية المشهورة.

النوع الثالث: قطعة من حديث قد استشهدوا بها، وهي مخالفة للأساليب النحوية المشهورة، وقد تكفلوا في تأويلها، ولو تتبعوا روايات الحديث في مظانه لعثروا على الحديث بتمامه، وأمكن تخريجه على أشهر الضوابط النحوية.

ولا يجوز لنا أن نحكم على الحديث قاطبة، أنه لا يصح الاحتجاج به لمخالفته القواعد النحوية، من خلال هذه الأنواع؛ لأن العلم مبني على التحري والضبط، والاعتماد على الروايات المشهورة المستفيضة الموثوق بها عند أرباب هذا الشأن، وعلى رواية الأكثرين الذين عليهم المعوّل، وإليهم الرحلة، وعلى تصور الحديث بتمامه كيلا يختل البيان ويشتبه الإعراب). ص ٣١٣. وهذا الضبط والبيان من أسباب تأليف القاضي . رحمه الله . لكتابه "مشارق الأنوار".

المبحث الخامس: مصادره وطريقته في الإفادة منها

تنوعت مصادر القاضي في كتابه تنوعاً كبيراً، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه حيث قال:(فإني نخلت فيه معلوماتي، وبثثت فيه[1] مكتومي، ورصعته بجواهر محفوظي ومفهومي، وأودعته مصونات الصنادق والصدور، وسمحت فيه بمضنونات المشائخ والصدور، مما لا يبيحون خفي ذكره لكل ناعق، ولا يبوحون بسره في متداولات المهارق..).[2] أي أنه جمع فيه بين المسموع من الشيوخ، والمحفوظ في الصدر، والمنقول من الكتب، مع قدح الذهن واستعمال الفكر، ومن تأمل الكتاب وجده لا يخرج في مصادره عما ألمح إليه. ثم إن هذه المصادر يمكن تصنيفها حسب موضوعها إلى عدة أقسام:

فمنها: مصادر اعتمد عليها في سياق الألفاظ، وهي كتب الرواية.

ومنها: مصادر لغوية اعتمد عليها في شرح الغريب وبيان المعاني وما يلتحق بذلك.

ومنها: مصادر اعتمد عليها في ضبط الأسماء والأنساب، والتعريف بالبقاع والبلدان.

والقاضي لا يصرّح باسم الكتاب المنقول عنه في الغالب، وإنما يذكر العَلَمَ المنقول عنه، ولذا فيصعب أحياناً تحديد اسم الكتاب المنقول عنه، وأحياناً يبهم القائل،[3] وسأذكر فيما يأتي بعضاً من العلماء الذين نقل عنهم، وما تركته أكثر مما ذكرته، لأن المقصود التمثيل لا الحصر والاستيعاب:

١. الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠)، وأحياناً يقول: صاحب العين.[4]

٢. أبوزكريا، يحيى بن زياد الديلمي الفراء (ت ٢٠٧).[5]

٣. أبوعبيدة، معمر بن المثنى البصري (ت ٢١٠).[1]

---

١ – في المطبوع (وبثته مكتومي)، وهو خطأ مخالف لما وجدته مضبوطا في نسخة خطية للكتاب.

٢ – المشارق ١/٧.

٣ – من الإبهام قوله:(أفادني بعض من لقيناه من أهل الاعتناء بهذا الباب أنه وقع على أصل اللفظة وصحيحها في كتاب ..) ١/٢٨.

٤ – انظر ترجمته في: إنباه الرواة ١/٣٧٦، والسير ٧/٤٢٩. ونقل عنه في: ١/٢٨، ٣٠، ٥٧، ٣٢٥، ٣٢٤، ٢/١٦، ١٨، ٦٦، ١٤٩، ٢٤٧، ٢٦٨.

٥ – انظر ترجمته في: إنباه الرواة ٤/٧، البغية ٢/٣٣٣. ونقل عنه في مواضع منها: ١/٢٦، ٣١، ١٢٢، ١٤٤، ٢٤٧، ٣٨٦، ٣٥٥، ٢/٧٤، ٩٧، ١٤٠، ١٨١.

٤ . أبوعبيد، القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي (ت ٢٢٤)، وله كتاب "غريب الحديث".[٢]

٥ . أبوعبدالله، محمد بن زياد ابن الأعرابي (ت ٢٣١) تقريباً.[٣]

٦ . أبويوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت (ت ٢٤٤)، ويسمي كتابه أحياناً بإصلاح المنطق، وتارة بالألفاظ.[٤]

٧ . أبوالوليد، محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي الغساني المكي (ت ٢٥٠) تقريباً، له كتاب "أخبار مكة".[٥]

٨ . أبوعبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦)، نقل عنه من كتابه "التاريخ الكبير".[٦]

٩ . أبوزكريا، يحيى بن إبراهيم بن مزين (٢٥٩)، نقل عنه من تفسيره[٧]، والمراد بالتفسير كتابه المسمى بـ: "تفسير الموطأ" كما في تاريخ علماء الأندلس.

١٠ . أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعروف بالقتبي (٢٧٦)[٨]، له كتاب غريب الحديث، نقل عنه القاضي واعترض عليه كثيراً.

---

١ – ترجمته في: إنباه الرواة ٣/٢٧٦، والبغية ٢/٢٩٤، ونقل عنه في مواضع منها: ١/٥٥، ٥٦، ٥٩، ٢٤٨، ٣٣٠.

٢ – ترجمته في السير ١٠/٤٩٠، والبغية ٢/٢٥٣، ونقل عنه القاضي في ١/٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٤٥، ٢٥٠، ٣٢٥، ٢/٣٣، ٧٣، ٨٧، ١٣٠، ٣٢٨.

٣ – ترجمته في السير ١٠/٦٨٧، والبغية ١/١٠٥، نقل عنه في مواضع منها: ١/٢٦، ٧٥، ١٣٣، ١٤٩، ١٧٥، ٢٢٩، ٢٤٨، ٢/١٦، ٢٠٥، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٦٠.

٤ – ترجمته في إنباه الرواة ٤/٥٦، والبغية ٢/٣٤٩، ونقل عنه في مواطن منها: ١/١٢، ٢٨، ٣٠، ٣٩، ٥٦، ١١٥، ٣٣٠، ٣٢٥، ٢/٤، ٥، ٦، ٢٨٥.

٥ – ترجمته في الفهرست لابن النديم ص:١٦٢، والرسالة المستطرفة ص: ١٣٤، ومعجم المؤلفين ٣/٤٢٩. ونقل عنه القاضي في ١/٣٢٧، ٣٩٤، ٢/٣٤.

٦ – انظر ترجمته في السير ١٢/٣٩١، وفيات الأعيان ٤/١٨٨، وقد نقل عنه في عدة مواضع منها: ١/٦٦، ٦٧، ٧٠، ٣٢٧.

٧ – انظر: تاريخ علماء الأندلس ٢/١٨١، ونقل عن القاضي في: ١/٢١، ٢/٢٠٥.

٨ – انظر: إنباه الرواة ٢/١٤٣، والبغية ٢/٦٣، ونقل عنه القاضي في مواضع منها: ١/٢٦، ٢٩، ٤١، ١٦٧، ٣٣٤، ٢/٣، ٦، ٧، ١٤٣، ١٥٢، ٢٦٨.

١١. أبوإسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (٢٨٥). له كتاب في غريب الحديث.[١]

١٢. أبوالعباس، أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي، المعروف بثعلب (٢٩١).[٢]

١٣. أبوإسحاق، إبراهيم بن السّري الزجاج (٣١١).[٣]

١٤. أبوالقاسم، ثابت بن حزم أوعبدالعزيز السرقسطي (٣١٣)، له كتاب الدلائل في غريب الحديث، ابتدأه ابنه قاسم وتوفي قبل أن يكمله، فأتمه أبوه، وذكرا فيه ما لم يذكره أبوعبيد ولا ابن قتيبة. ويقول القاضي فيما ينقله عنه: (قال ثابت).[٤]

١٥. أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١)، له كتاب الجمهرة.[٥]

١٦. أبوبكر، محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨)، له كتاب "غريب الحديث"، و"الزاهر".[٦]

١٧. أبوعمر، محمد بن عبدالواحد المطرز، المعروف بغلام ثعلب (٣٤٥)، ويقول فيه القاضي: "صاحب اليواقيت".[٧]

١٨. أبوعلي، إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي (٣٥٦)، وينقل القاضي عن كتابه "البارع".[٨]

١٩. أبومنصور، محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري (٣٧٠).[٩] له كتاب "تهذيب اللغة".

---

١ – انظر ترجمته في: السير ٣٥٦/١٣، إنباه الرواة ١٩٠/١، ونقل عنه في مواضع كثيرة منها: ٢٥/١، ٣١، ٥٥، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٢٧، ٥/٢، ٦، ٩٤، ٢٠٣، ٣٦٨.

٢ – ترجمته في إنباه الرواة ١٧٣/١، والبغية ٣٩٦/١، ونقل عنه في مواضع منها: ٣٧/١، ٣٨، ٤٠، ٤٣.

٣ – ترجمته في الإنباه ١٩٤/١، والبغية ٤١١/١، ونقل عنه القاضي في ٤٨/١، ١٤١، ١٤٤، ١٤/٢، ٨٠، ٢٥٥.

٤ – ترجمته في: إنباه الرواة ٢٩٧/١، والبغية ٤٨٠/١، ونقل عنه في مواضع متعددة منها: ١٢/١، ٥٢، ٥٦، ٢٤٨، ٢٧٦، ٣٢٥، ٣٤٠، ٣٤٧، ١٣/٢.

٥ – ترجمته في: إنباه الرواة ٩٢/٣، والبغية ٧٦/١، ونقل عنه في مواضع منها: ٢٥/١، ٢٩، ٥٧، ٦١، ٧٠، ١١٧، ٢٦٥، ٣٢٩، ٣٣٢، ٧/٢، ١٩٣.

٦ – له ترجمة في إنباه الرواة ٢٠١/٣، والبغية ٢١٢/١، وذكره القاضي في مواضع منها: ١٣/١، ٤٧، ٦١، ١٩٩، ٣٢٩، ٦/٢، ٦٤، ٢٤٧، ٢٦٨.

٧ – له ترجمة في الإنباه ١٧١/٣، والبغية ١٦٤/١، ونقل عنه في مواضع منها: ١٨/١، ٤٧، ١٢٣، ١٨٥، ٢١٣، ٥/٢، ١٥، ٢٨، ١٢٨، ١٦٩.

٨ – ترجمته في إنباه الرواة ٢٣٩/١، والبغية ٤٥٣/١، ونقل عنه في ٣٣٢/١ وتعقبه فيما نقل عنه.

٩ – له ترجمة في السير ٣١٥/١٦، والبغية ١٩/١، ونقل عنه القاضي في ١٨/١، ٢٦، ٢٧، ٣٢، ٤٥، ١٢٣، ١٨٥، ٢١٣، ٥/٢، ١٥، ٢٨، ١٢٨، ١٦٩.

٢٠ . أبوالحسن علي بن عمر الدراقطني (٣٨٥)، يصرح بالنقل عن كتابه: "تصحيف المحدثين"، وينقل عنه في الأسماء ولعله من "المؤتلف والمختلف".[١]

٢١ . أبوسليمان، حمد بن محمد الخطابي البستي (٣٨٨)، له كتاب غريب الحديث، واعترض عليه القاضي في مواضع من كلامه.[٢]

٢٢ . أبوعبيد، أحمد بن محمد الهروي الشافعي اللغوي المؤدب (٤٠١)، صاحب أبي منصور الأزهري، وله كتاب "الغريبين" يذكره باسمه أحياناً.[٣]

٢٣ . أبومحمد، عبدالغني بن سعيد الأزدي (٤٠٩)، له كتاب المؤتلف والمختلف.[٤]

٢٤ . أبونصر، الأمير علي بن هبة الله بن علي، المشهور بابن ماكولا (٤٧٥)، له كتاب الإكمال في المؤتلف والمختلف.[٥]

٢٥ . أبوعبيد، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (٤٨٧)، له كتاب "معجم ما استعجم من البلاد والمواضع".[٦]

٢٦ . أبومروان، عبدالملك بن سراج الأموي النحوي (٤٨٩).[٧] وهو في طبقة شيوخ شيوخ القاضي، ويقول في النقل عنه أحياناً: في شرح مسلم.

---

١ – ترجمته في: السير ٤٤٩/١٦، وتاريخ بغداد ٣٤/١٢، ونقل عنه في مواضع منها: ٦٠/١، ٦٣، ١٧٢، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٤٨، ٣٠٧، ٣٩٥، ٤٧/٢، ٥٤، ١٠٩، ١١٨، ٣١٤.

٢ – تنظر ترجمته في السير ٢٣/١٧، والبغية ٥٤٦/١، ونقل عنه القاضي في مواضع منها: ٢١/١، ٢٦، ٢٩، ٤٣، ٤٥، ٥٢، ٣٢٦، ٣٣/٢، ٩٧، ١٣٦، ٢٢١، ٢٢٩.

٣ – له ترجمة في الوفيات ٩٦/١، والسير ١٤٦/١٧، ونقل عنه في مواضع منها: ١٢/١، ٥٦، ٥٧، ٢٤٩، ٥/٢.

٤ – ترجمته في السير ٢٦٨/١٧، والبداية والنهاية ٥٧٨/١٥، ونقل عنه في مواضع منها: ٦٠/١، ٦٨، ١٧٢، ٢٢٧، ٣٠٦، ٤٠١، ٥٤/٢، ٩١، ١٢٥، ٣٦٩.

٥ – ترجمته في وفيات الأعيان ٣٠٥/٣، والبداية والنهاية ٨٣/١٦، ونقل عنه في مواضع منها: ٦٠/١، ٣١٥، ٣٩٥، ٤٠٤، ١٠٩/٢، ١٢٥، ١٦٩، ٢٣٦.

٦ – مترجم له في البغية ٤٩/٢، ونقل عنه القاضي فيما يتعلق بالبلاد والمواضع في: ٥٨/١، ٥٩، ١٢٦، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٢٧، ٢٧٥/٢.

٧ – انظر ترجمته في: السير ١٣٣/١٩، والبغية ١١٠/٢، ونقل عنه القاضي في مواضع منها: ٢٢/١، ٥٥، ٢٤٨، ٣٨٧، ٢٧/٢، ١٠٢، ١٧٤، ١٧٩، ١٥٧، ١٧٤.

٢٧ . أبوالوليد، هشام بن أحمد الوقّشي (٤٨٩).[١]. وهو من شيوخ شيوخ القاضي، وقد عني بالتنبيه على أوهامه، وذلك لكثرة تغليطه للرواة بالرأي كما نبه عليه في المقدمة.

٢٨ . أبو علي الحسين بن محمد الجياني (٤٩٨)، له كتاب "تقييد المهمل وتمييز المشكل".[٢]

٢٩. أبوحفص، عمر بن خلف بن مكي الصقلي، المعروف بابن مكي (٥٠١)، يسمي كتابه القاضي بـ "تقويم اللسان"، ولعله: "تلقيح الجنان وتثقيف اللسان".[٣]

٣٠ . أبوالحسين، سراج بن عبدالملك بن سراج الأموي اللغوي (٥٠٨).[٤] وهو ابن سابقه، لقيه القاضي عياض وأخذ عنه كثيراً.

٣١ . أبوالحسن، علي بن عبدالرحمن التنوخي النحوي، المعروف بابن الأخضر (٥١٤).[٥] وهو من شيوخ القاضي وممن أخذ عن الحافظ أبي علي الغساني الجياني.

* * *

١ – انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٣٤/١٩، بغية الوعاة ٣٢٧/٢، ونقل عنه القاضي في مواضع، منها: ٧٧/١، ٢٦٤، ٢٦٠، ٢٦٤، ٣٧٣، ٣٩٧، ٣٩٢، ١٠/٢، ٢٩، ٧٠، ١٤٣، ١٩٦، ٢١٤، ٢٣٧.

٢ – تقدمت ترجمته، ونقل عنه القاضي في: ١٧/١، ٢٣، ٣٨، ٤٥، ٥٧، ٦٧، ٦٨، ٦٩. وتعقبه أحياناً.

٣ – ترجمته في الإنباه ٣٢٩/٢، والبغية ٢١٨/١، وذكره في مواضع منها: ٤٢/١، ٥١، ٥٨، ٢٣٥، ٢٨٧/٢، ٣٠٥.

٤ – انظر ترجمته في: إنباه الرواة ٦٦/٢، والديباج ٣٩٨/١، وبغية الوعاة ٥٧٦/١، وقد نقل عنه في مواضع متعددة منها: ٣١/١، ٣٧، ١٢٧، ٢٥١، ٢٧٠، ٣٨٧، ٩٤/٢، ١٢١.

٥ – انظر ترجمته في البغية ١٧٤/٢، ونقل عنه القاضي في مواضع منها: ١٢/١، ٢٢، ١٠/٢، ١٣٥، ١٧٨، ٢٦٢.

المبحث السادس: أثره فيمن جاء بعده:

وقع كتاب القاضي عند الناس بالمحل العالي والمنزلة الرفيعة، واستفاد منه من جاء بعده على تنوع موضوعات مؤلفاتهم؛ سواء ما كان منها في الشرح، أو البلدان، أو بيان الأوهام، ومن ذلك:

١. أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني الحَمْزي، المعروف بابن قُرْقُول (ت ٥٦٩)،[1] وذلك في كتابه: "مطالع الأنوار على صحاح الآثار".

وكتاب مطالع الأنوار بناه مؤلفه على كتاب القاضي، ووصفه ابن خلكان بأنه صنفه على مثال مشارق الأنوار، ووصفه حاجي خليفة بأنه اختصر مشارق الأنوار واستدرك وأصلح فيه أوهاما، وبنحوه وصفه الكتاني.[2]

والكتاب لا يزال مخطوطاً، وقد قابلت بينهما معتمداً على نسخة مضبوطة للمطالع، فخرجت بالنتائج التالية:

أ. لم يشر ابن قُرْقُول في المقدمة إلى أنه اختصر كتاب القاضي عياض، بل يخيل لمن يقرأ المقدمة أنه يقرأ مقدمة مشارق الأنوار، ولا تختلف مقدمته عن مقدمة المشارق إلا بحذف كلمات يسيرة، وحذف أسانيد القاضي للكتب الثلاثة التي ذكرها في آخر المقدمة.

ب. يذكر القاضي عياض في أثناء الكتاب بقوله "القاضي" أو "أبو الفضل" ونحو ذلك، بل ذكر أنه نقل عن نسخة القاضي التي هي بخطه، حيث قال عند قوله (لم يبتئر): (وجدت في أصل القاضي رحمه الله بخط يده في داخل الكتاب يَنْتَئِزْ، وكتب في مقابلته في الحاشية "كذا عند أبي زيد وبالزاي قرأه وداخل كتاب الأصيلي أو ينتئر صحيح". قلت هذا كله مما نقلته من خط أبي الفضل - رحمه الله - ومن خطه في الحاشية).[3]

ج. اختصر كلام القاضي بحذف الكلمات التي لا يؤثر حذفها في المعنى، فما يقول فيه القاضي سمعت شيخنا فلاناً يقول، يقول في ابن قُرْقُول: وقال فلان كذا.. ونحو ذلك.

---

١ - ترجمته وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٢/١)، وفي سير أعلام النبلاء (٥٢٠/٢٠).

٢ - كشف الظنون ١٧١٥/٢، والرسالة المستطرفة ص ١٥٧.

٣ - ل ٣٨ أ.

ومما حذفه ذكر الحرف الثالث في مواد الكلمات، فيقول مثلاً: الباء مع الراء، ثم يسرد ما ورد في هذه المادة مرتبة على الحرف الثالث دون ذكرٍ للمواد، أما القاضي فإنه يذكرها نحو (ت ب ت).

د. أعاد ترتيب المواد التي اختل ترتيبها عند القاضي.

هـ. تعقب القاضي في بعض المواضع، ومن أمثلة ذلك قوله:(.. وقال من ذهب إلى صحة الرواية [يشير بذلك إلى القاضي عياض] إن الحبايل القلائد والعقود، أو يكون من حبال الرمل التي فيها اللؤلؤ كحبال الرمل أو من الحُبْلة، وهي ضرب من الحلي معروف. قال ابن قرقول: وهذا كله تخيّل، بل هو لا شك تصحيف من الكاتب، والحبايل إنما تكون جمع حِبالة أو حَبيلة).[1]

و. زاد بعض الفوائد، ومن ذلك أن القاضي ذكر ألفاظ الرواة في كلمة (لم يتئر)، وذكر رواية خارج الصحيحين، فقال ابن قرقول: (وفي رواية مسلم أيضاً ما امتأر بالميم).[2] ونقل ابن حجر عنه هذه الفائدة فقال: (وفي رواية الأصيلي بالزاي، وللجرجاني بالنون والزاي وغلط. وقال عياض: يروى بالميم في غير الصحيحين، وأثبته صاحب المطالع لبعض الرواة في مسلم).[3] لكن دون أن ينسب ابن قرقول الرواية لراويها.

٢. أبوعبدالله، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦)[4] في معجم البلدان في عدة مواضع.[5]

٣. الحافظ أبوعمرو عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان الكردي الشَّهْرَزوري، المشهور بابن الصلاح (ت ٦٤٣)[6] وذلك في مقدمته، في معرفة المؤتلف والمختلف من الأسماء والأنساب وما يلتحق بها، حيث قال بعد كلام له:(وأنا في

---

١ – مطالع الأنوار في فصل الوهم والخلاف من حرف الحاء، ونقل عنه هذا التعقب الحافظ ابن حجر في هدى الساري ص ١٠٦.

٢ – مطالع الأنوار ل ٣٨ أ

٣ – هدى الساري ص ٨٨.

٤ – ترجمته في وفيات الأعيان (٦/ ١٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣١٢).

٥ – معجم البلدان (٢/د٤٤٥) (خم)، و (٤/ ٤٩٩)(كداء)، و (٤/ ٣٥٤)(قدوم).

٦ – مترجم في وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٤٠).

بعضها مقلد كتاب القاضي عياض).[1] ونقل عنه أيضا في صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط.[2]

٤ . الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري (ت ٦٥٦)[3] في حاشيته على مختصر صحيح مسلم.[4]

٥ . الحافظ شمس الدين محمد بن عبدالله بن محمد القيسي الدمشقي، المعروف بابن ناصر الدين (ت ٨٤٢)[5] في كتابه توضح المُشْتَبِه.[6]

٦ . الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)[7] في هدى الساري، في فصل:(في سياق ما في الكتاب من الألفاظ الغريبة)، وفي فتح الباري.

٧ . الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدمشقي الملقب بالناجي (ت ٩٠٠)[8] في عجالة الإملاء المتيسرة.[9]

* * *

---

١ – مقدمة ابن الصلاح ص: ٣٥٧.

٢ – صيانة صحيح مسلم ص: ١٨٤.

٣ – ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٣ / ٣١٩)، وشذرات الذهب (٧ / ٤٧٩).

٤ – نقله عنه الناجي في عجالة الإملاء المتيسرة ٣ / ٣١٨.

٥ – مترجم في الضوء اللامع (٨ / ١٠٣). والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢ / ١٩٨).

٦ – توضيح المشتبه ٣ / ٤٨٧، ولم يصرح باسم الكتاب. وفي ٥ / ٢١٩، وذكر أن صاحب المطالع تبعه ووهمهما فيما قالا. وفي ٧ / ٦٣ ووهمه في ضبط كلمة.

٧ – ترجم له السخاوي في الضوء اللامع (٢ / ٣٦)، وأفرد في ترجمته كتاباً سماه "الجواهر والدرر". والبدر الطالع (١ / ٨٧).

٨ – مترجم له في الضوء اللامع (١ / ١٦٦)، وشذرات الذهب (٧ / ٣٦٥).

٩ – نقل عنه في المواضع التالية: ٥ / ١٠٧٥، ٤ / ٣١٨، ٥٧٠، ٥٨٩، ٧٩٥.

المبحث السابع: طريقته في ترتيب الكتاب:[1]

رتب القاضي عياض مواد كتابه ترتيباً معجمياً، وألحق في آخر الكتاب أبواباً لبيان مشكلات الكتب الثلاثة مما لا يرجع إلى لفظة بعينها، وإنما يرجع إلى جملة من الألفاظ، وبيان ذلك كالآتي:

القسم المعجمي من الكتاب:

١. رتب الكلمات ترتيباً معجمياً وفق ترتيب المغاربة للحروف، وهي على النحو الآتي: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، ي. ويقول في ذلك: حرف الألف، حرف الباء ..

٢. راعى في الترتيب الحرف الثاني والثالث داخل كل حرف حسب ترتيب المغاربة، ويضع عنواناً لكل ذلك فيقول: (التاء مع الهمزة)، (التاء مع الباء)، ثم يذكر المواد تحت كل عنوان هكذا: (ت ب ب)، (ت ب ت)، ت ب ر)، (ت ب ن)، ت ب ع)..[2]

٣. يقتصر على ذكر المواد التي تشتمل على كلمات غريبة فحسب.

٤. يعامل الحرف المضعّف معاملة غير المضعّف.

٥. يذكر بعد القسم الفرعي تحت الحرف العام [مثل الباء مع التاء، التاء مع الميم، التاء مع النون..] فصلاً بعنوان " فصل الاختلاف والوهم" فيذكر تحته الكلمات التي وقع في بعض رواياتها تصحيف أو وهم في ذلك القسم. وهذا الفصل يذكره حسب الحاجة، فإن لم توجد كلمات وقع فيها تصحيف أو وهم لم يعقده.

٦. في آخر كل حرف عام يعقد ثلاثة فصول: فصل في أسماء المواضع والبقع، وفصل مشكلات الأسماء والكنى، وفصل في مشكلات الأنساب.

---

١ – وقد أخرت هذا المبحث ليكون توطئة للدخول في مادة الكتاب العلمية.

٢ – اختل هذا الأصل في بعض المواطن، ومن ذلك:

. وقع تقديم وتأخير لبعض المواد، ومثاله: ذكره مادة (س و ع) في السين مع العين، وحقها أن تذكر في السين مع الواو. وتقديمة (ب س س) على (ب س ر).

ـ ذكر بعض الكلمات بحسب لفظها لا بحسب أصل مادتها. ومن ذلك أنه ذكره المقبرة في (م ق ب)، واصطفى في (ص ط ف).

وإذا وجدت الحاجة عقد فصولاً فرعية داخل الفصل عند كثرة الأسماء، أو كثرة دوران الكلمة في الكتب، وتارة يعقد آخر كل واحد من الفصول الثلاثة فصلاً للاختلاف والوهم إذا دعت الحاجة لذلك.

الأبواب الملحقة بآخر الكتاب:

وهي ثلاثة أبواب:

(الباب الأول: في الجمل التي وقع فيها التصحيف أو طَمَسَ معناه التغييرُ والتلفيق)، ومن الأمثلة التي ذكرها:

- (وفي باب شهادة العبيد والإماء، وقال شريح: كلكم بنو عبيد وإماء. كذا لأكثرهم، وعند ابن السكن "عبيد وإماء" وهو الوجه والصواب).[1]

- (وفي باب الدواء بألبان الإبل في حديث العرنيين " فلما صحّوا، فقالوا: إن المدينة وخمة، فأنزلهم الحرة" الحديث إلى قوله: " فلما صحّوا قتلوا راعي النبي عليه الصلاة والسلام" الحديث. ذِكْرُ "فلما صحوا" أولاً هنا وتقديمه وزيادته خطأ ووهم، وليس موضعه، وإنما موضعه آخر الحديث كما في موضعه، وكما جاء في سائر الأبواب في الصحيحين على الصواب).[2]

ثم ذكر بعده فصلاً بعنوان **(فصل فيما جاء من الوهم في هذه الأصول في حرف من القرآن)**، وذكر فيه ما وقع في بعض روايات الكتب من بعض الرواة، فحمل على أنه خطأ أو قراءة شاذة أو كان من باب التفسير لا التلاوة، ومن أمثلة ذلك:

- (وفي باب ما لا يجوز من القراض " فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم" كذا في كثير من أصول شيوخنا وغيرهم عن يحيى، وكذا لابن بكير. والتلاوة "وإن" بالواو، وكذا في

---

١ – المشارق ٢/٣١٤، وقول شريح ذكره البخاري معلقاً في كتاب الشهادات، باب شهادة الإماء والعبيد ص٤٣١.

٢ – المشارق ٢/٣٢٠، لفظ الرواية كما في صحيح البخاري في كتاب الطب: باب الدواء بألبان الإبل: (إن ناسا كان بهم سقم، قالوا: يا رسول الله، آونا وأطعمنا. فلما صحّوا قالوا: إن المدينة وخمة، فأنزلهم الحرة في ذود له. فقال: اشربوا من ألبانها. فلما صحّوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا ذوده..) الحديث ص١٠٠٦ برقم ٥٦٨٥.

كتاب ابن عتاب وغيره على الصواب، وهذا كله مما لا يشك أن الوهم فيه من الرواة إذ لم يكن مالك ممن يجوز عليه هذا لا سيما مع كثرة قراءة الكتاب عليه..).[1]

. (وفي باب من اشترى هدية بالطريق "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" وعند القابسي "لقد لكم" وهو وهم، والحق "كان"، ولعله في روايته لم يرد التلاوة للآية، وإنما ذكره من كلامه محتجاً به).[2]

ـ (وفي آخر الكتاب " ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم" كذا للسمرقندي وبعضهم، وعند العذري وغيره بسقوط "لهن" على التلاوة المعروفة، ولعله ورد في هذه الرواية على معنى التفسير لا على معنى الآية وقراءة شاذة).[3]

ثم ذكر بعده فصلاً بعنوان **(فصل فيما جاء من ذلك في الأسانيد)** وذكر فيه ما وقع فيه تصحيف أو زيادة أو حذف في بعض الأسانيد مع بيان وجه الصواب في ذلك، ومثاله:

. (في سجدة النجم "عن الأعرج، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه" كذا عند يحيى وجماعة غيره من رجال الموطأ، وفي كتاب ابن عتاب، عن أبي القاسم الحافظ، عن ابن المشاط "الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن عمر"، وكذا عند مطرف وابن بكير).[4]

(الباب الثاني في ألفاظ وجمل في هذه الأصول يحتاج إلى تعريف صوابها وتقويم إعرابها، وتفهيم المؤخر من المقدم من ألفاظها، وبيان إضمارات مشكلة وعلى ما يعود المراد بها)

ومن ذلك قوله: في باب بيع العربان " فما أعطيته لك باطل" خبر المبتدأ. كذا لرواة يحيى، وعند ابن وضاح " باطلاً" نصب على الحال، وخبر المبتدأ في لك.[5]

ثم عقد فصلاً فقال: **(فصل في بيان إضمارات مشكلة في أثناء الأحاديث من هذه الكتب)**، ومن أمثلة ذلك:

. (قوله في البخاري في كتاب الاعتصام، وقول معاوية في كعب الأحبار " إنه أصدق الذين يحدثون عن الكتاب، وإن كنا لنبلوا عليه الكذب ". قيل: الهاء في "عليه" عائدة على

---

١ – المشارق ٢/٣٣٠.

٢ – المشارق ٢/٣٣٠.

٣ – المشارق ٢/٣٣٢.

٤ – المشارق ٢/٣٣٢.

٥ – المشارق ٢/٣٦٦.

الفصل الثالث: منهجه في تحرير الألفاظ وشرح الغريب

المبحث الأول: طريقته في ضبط الألفاظ:

سلك القاضي في ضبط الألفاظ وسائل عدة، هي:

١. الضبط بالحرف

وهذا هو الأصل عنده، ولا تكاد تخلو منه مادة من المواد.

٢. الضبط بالوزن:

أي أنه يبين وزن الكلمة، ومن ذلك قوله: (وقال أبوعبيد: إنما هو الآرزة بالمد وكسر الراء على مثال فاعلة، ومعناها..).[١]

ومنه: (قوله: "أرق النبي صلى الله عليه وسلم" أي سهر ولم ينم، يقال "أرق" بفتح الراء وكسرها، والاسم منه والمصدر الأرق بالفتح، ومنه "بات أرقاً" بالكسر اسم فاعل).[٢]

ومنه: ("آناء الليل وآناء النهار" أي أوقاتهما ممدود الأول والآخر على وزن "أفعال" في الجمع واحدها أنى مفتوح الهمزة مقصور منون).[٣]

ومنه: ضبط كلمة النباش، وأنه روي على وزن اسم الفعل بكسر النون وتخفيف الباء.[٤]

٣. الضبط بالنظير.

ومن ذلك: (وقع عند المروزي "أرى" بفتح الهمزة والراء مثل "دعا" وليس بشيء).[٥]

ومنه: ("تربت يداك وألت" بضم الهمزة على وزن "علت" كذا رويناه في كتاب مسلم من جميع الطرق. قال بعضهم: صوابه "أللت" بكسر اللام الأولى وسكون الثانية على وزن "طعنت"..).[٦]

ومنه: قال في ضبط "آمين" والنون مفتوحة أبداً مثل ليت ولعل.[٧]

---

١ – المشارق ٢٧/١.
٢ – المشارق ٢٧/١.
٣ – المشارق ٤٥/١.
٤ – المشارق ٣/٢.
٥ – المشارق ٢٨/١.
٦ – المشارق ٣١/١.
٧ – المشارق ٣٨/١.

ومنه: (الإفك: الكذب، يقال فيه: افك وافك، مثل: نجس ونجس).[1]

ومنه: (النأي: البعد، نأى ينأى مثل: سعى يسعى. ويقال مقلوباً: ناء مثل: حار، وناء ينوء مثل: قال يقول).[2]

ومنه: (الأدمان على وزن الغليان).[3]

* * *

---

١ المشارق ١/٤٧.

٢ المشارق ٢/٢.

٣ المشارق ١/٢٥٨.

الكتاب لا على كعب؛ لأن كتبهم قد غُيرت، وكان هذا أنزه لكعب عن الكذب. قال القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ: وعندي أنه يصح أن يعود على كعب أو على حديثه، وإن لم يقصد الكذب أو يتعمده كعب؛ إذ ليس بشرط في الكذب عند أهل السنة التعمد، بل إخبار الخبر بخلاف ما هو عليه وليس في هذا تجريح لكعب بالكذب).[1]

ثم عقد فصلاً فقال: (**فصل في التقديم والتأخير الذي يستقيم الكلام بمعرفته في بعض ألفاظ هذه الأصول**)، ومن ذلك:

ـ (قوله في كتاب الفضائل " ليأتين على أحدكم يوم لا يراني ثم لا يراني ثم لا يراني أحب إليه من أهله وماله معهم " كذا لكافة شيوخنا في صحيح مسلم، ولبعضهم "معه" على الإفراد، وعند الطبري " يوم ثم لا يراني " قيل: وتقدير هذا الكلام وتوجيهه على التقديم والتأخير: ليأتين على أحدكم يوم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم ثم لا يراني. وقد نبه على نحو هذا المعنى إبراهيم بن سفيان راوي كتاب مسلم عنه، فقال: "هو عندي مقدم ومؤخر"، وضَرَبَ على "لأن". وعلى ما قررناه جاء مفسراً في رواية سعيد بن منصور: " لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله ثم لا يراني").[2]

(**الباب الثالث في إلحاق ما بتر من الحديث أو بيض للشك فيه أو لعلة أو نقص منه وهما مما لا يتم الكلام إلا به ولا يستقل إلا بإلحاقه**)، وبين رحمه الله تعالى أن وقوع مثل هذا كثير في صحيح البخاري، وقد ثبت أن بعض ذلك من قبل بعض الرواة عنه، أو هو ممن فوقه، ومنه ما يكون من المصنِّف؛ لكنه فعله عمداً لشهرة الحديث، أو لأنه ذكره تاماً في موضع آخر، أو لغرض آخر. ومثال ذلك:

ـ (وفي صلاة المسافر، قوله " صلاة الأسير مثل صلاة المقيم" زاد في رواة ابن المشاط " إلا أن يكون مسافرا". وعند ابن وضاح " يريد إلا أن يكون مسافراً" وسقطت هذه الزيادة كلها لأكثر الرواة. وبإلحاقها تتم المسألة).

* * *

---

١ – المشارق ٢/٣٦٦.

٢ – المشارق ٢/٣٧٦، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الفضائل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ص١٠٣٩، برقم ٦١٢٩.



المبحث الثاني: منهجه في اختيار الرواية الصحيحة:

بعد أن يضبط القاضي الكلمة يبين معناها؛ فإن اختلفت الروايات ذكر وجه كل رواية؛ لأن الأصل صحة الجميع. فإن تعذر الجمع، سلك مسلك الترجيح، وذكر الرواية المرجوحة في فصل التصحيف والوهم، فيذكر في كل موضع ما يناسبه.

وفيما يلي بيان منهجه في اختيار الرواية الصحيحة عند تعذر الجمع:

١ـ يبين أصل اشتقاق الكلمة، وبيان معناها.

وبيان الاشتقاق أساس في معرفة أصل الكلمة ومعناها، وعنه يتفرع الحكم عليها بالصحة أو عدمها، وبيان الاشتقاق كثير في الكتاب، بل هو الأصل، ومن ذلك:

أنه ذكر في كلمة "أرب" أنها رويت على خمسة أنحاء، ثم بين من قال بكل رواية، وذكر توجيهها اللغوي، وأطال في ذلك.[١]

ومثاله أيضاً: " إذا وسد الأمر إلى غير أهله" وفي رواية "أسد"، وفي رواية "أوسد"، وأن ذلك أشكل على بعض الرواة، فقال القاضي:(هما بمعنى، وهو من الوساد، ويقال بالهمز والواو وسادة وإسادة معاً).[٢]

٢ـ يبين الأفصح من الروايات وإن كانت كلها صحيحة

ومن ذلك أنه ذكر الروايات في الأترجة، فذكر: أترجة، و أترنجة، وقال: (وهما لغتان معروفتان، والأولى أفصح).[٣]

٣ـ توجيه الرواية المرجوحة.

ومن ذلك تخريجها على لغة غير مشهورة

ومنه قوله: (وفي باب الخطبة على خطبة أخيه "عن العلاء وسهيل، عن أبيهما" كذا رويناه بكسر الباء. قال بعضهم: هو وهم، وليسا بأخوين، وصوابه "عن أبويهما" إلا أن يضبط "أبيهما" بفتح الباء على لغة من بنى "أبا"، على ذلك فتخرج).[٤]

---

١ – المشارق ٢٦/١.

٢ – المشارق ٤٨/١.

٣ – المشارق ١٦/١.

٤ – المشارق ١٦/١.

ومنه: (قوله في قبلة الصائم " ألا أخبرتيها" كذا لجل الرواة. وعند ابن المرابط وابن عتاب "أخبرتها" وهو المعروف، والأول على لغة لبعض العرب).[1]

ومنه: (قوله " يتعاقبون فيكم ملائكة " أي يتداولون ويجيء بعضهم إثر بعض، وهذا مما جاء الضمير فيه مقدماً على اسم الجمع، على بعض لغات العرب، وهي لغة بني الحارث، يقولون: ضربوني أخوتك، وأكلوني البراغيث).[2]

وربما خرّج الرواية على مراعاة الحال

ومنه: في حديث خديجة وورقة فقالت (أيم عم) وعند بعض الرواة (يابن عم)، فقال القاضي عن الرواية الأولى: (لا يبعد صحة الرواية الأخرى وأن تدعو ورقة بذلك لسنه وجلالة قدره).[3]

المرجحات التي استعملها

القاضي وإن كان الغالب عليه أنه يقول: هو تصحيف أو وهم أو ليس بشيء، إلا أنه في مواطن أخرى يعلل للترجيح بين الروايات معتمداً على عدد من المرجحات، وقد أشار إليها في المقدمة بقوله: (فإن كان الحرف مما اختلفت فيه الروايات، نبهنا على ذلك، وأشرنا إلى الأرجح والصواب هنالك بحكم ما يوجد في حديث آخر رافع للاختلاف مزيح للإشكال مريح من حيرة الإبهام والإهمال، أو يكون هو المعروف في كلام العرب، أو الأشهر، أو الأليق بمساق الكلام والأظهر، أو نص من سبقنا من جهابذة العلماء وقدوة الأئمة على المخطئ والمصحف فيه، أو أدركناه بتحقيق النظر وكثرة البحث على ما نتلقاه من مناهجهم ونقتفيه).[4]

ومما وقفت عليه من المرجحات ما يلي:

١ – كثرة الرواة.

---

١ – المشارق ٢٣٠/١.

٢ – المشارق ٩٨/٢. وانظر للاستزادة: (هزّتُ سيفاً على لغة بكر بن وائل) في ٢٦٨/٢، و (هشّنا لذلك على لغة بكر بن وائل) في ٢٧٢/٢.

٣ – المشارق ٥٧/١

٤ – المشارق ٦/١.

ومنه قوله: (كذا لسائر رواة مسلم والبخاري .. ورواه العذري في مسلم .. وكذا رواه أبو الهيثم في البخاري، وهو تصحيف، والأول الصواب ..).[1]

٢ – موافقة القرآن الكريم.

مثاله قوله: "ولا تفتني ولا تؤثمني" أنها رويت على عدة ألفاظ، فرويت تارة: "توهني"، وتارة: "توبخني"، ثم رجّح الأول، وقال: (مع دليل سبب نزول الآية التي قال المنافق فيها ما قال).[2]

٣ – موافقة سياق الحديث.

ومنه أن عروة بن الزبير حدث عن حجته، فقال في رواية الأكثر: (حججت مع أبي، الزبير)، وقال بعض الرواة: (حججت مع ابن الزبير)، فرجح رواية الأكثر بقوله (الأول الصواب، إنما أخبر عروة أنه حج مع أبيه الزبير)، أي أن الرواية الثانية تقتضي أنه حجّ مع أخيه عبدالله وهذا غير مراد.[3]

ومنه: (قوله: "كنا نمرّ على هشام بن عامر فنأتي عمران بن حصين، فقال لنا ذات يوم". كذا لهم، وعند السمرقندي "فأتى عمران" وهو وهم، والأول الصواب بدليل قوله بعد "إنكم لتجاوزوني إلى رجال" الحديث. وقائل هذا هو هشام للذين كانوا يمرون عليه ويجاوزونه إلى عمران).[4]

ومنه: (قوله في حديث تخيير النبي عليه السلام نساءه "جلست فإذا رسول الله عليه إزاره" كذا لابن ماهان، وكذا سمعناه على أبي بحر. وسمعناه من القاضي أبي علي والخشني "فأدنى عليه إزاره" وهي رواية الجلودي، والأول الصواب بدليل مقصد الحديث وأن عمر إنما أراد أن يصف الهيئة التي وجده عليها).[5]

---

١ – المشارق ١٥/١، وانظر: ٣٢٥/١، ٣٣٠.

٢ – المشارق ١٩/١.

٣ – المشارق ١٥/١.وأعاده في ٥٩/١.

٤ – المشارق ١٧/١، ١٨.

٥ – المشارق ٢٦/١. وانظر للزيادة: (أتراني ماكستك) في ٢٢/١، و(أزرة المؤمن) في ٢٩/١، (أمله) في ٤٠/١، و(في المرضع والحامل) في ٥٤/١، و(أصحاب النار خمسة) صحح الروايتين وردّ على من رجح بينهما لدلالة السياق بأنه يحتمل الوجهين جميعاً. و(في خبر ابن الزبير وتعبير أهل الشام له)في ٥٧/١، و(لكني لا أطيقه)في ٣٢٥/١.

٤ – كون الرواية الأخرى تحيل المعنى إلى ضده.

ومن ذلك: ضبط همزة "أن" في قصة شارب الخمر (فوالله ما علمتُ أنه يحب الله ورسوله" الصواب ضبطها بالفتح و "ما" موصولة، وضبطها بعضهم بكسر الهمزة، فقال القاضي:(وهو وهم يحيل المعنى لضده، ويجعل "ما" نافية).[1]

٥ – ترجيح ما يوافق الأحاديث الثابتة.

ومن ذلك قوله: (وهذا المعنى الذي تفسره الأحاديث ويعضده القرآن أولى ما قيل فيه).[2]

ومنه: (قوله "إذا خرج عمر وجلس على المنبر وأذن المؤذنون" كذا ليحيى وجماعة من أصحاب الموطأ في الحرفين، ورواه ابن القاسم والقعنبي وابن بكير ومطرف "المؤذن" على الإفراد، وكذا عند ابن وضاح. والصواب الرواية الأولى؛ فإن ابن حبيب حكى أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة مؤذنين بالمدينة، يؤذنون واحداً بعد واحد. ويحتمل أن يريد من قال "المؤذن" بالإفراد الجنس لا الواحد).[3]

٦ – ترجيح ما يوافق المعروف من الأنساب.

ومن ذلك: (قوله "وذكر بنت الحرث بن كريز" فقال "وهي أم عبدالله بن عامر بن كريز" كذا لهم، وهو وهم، ليست بأمه بل هي زوجته، خلف عليها بعد مسيلمة. وأبوها الحرث عم زوجها ولو كانت أمه لكان أبوه إذاً تزوج بنت أخيه ولم يكن ذلك من مناكح العرب).[4]

ومنه: قال:(في حديث هجرة الحبشة قول عثمان لعبيدالله بن عدي بن الخيار "يابن أختي " كذا لجمهورهم، وعند النسفي وبعضهم " يابن أخي" والأول أوجه، إذ في أول الحديث "كلّم خالك"، وذلك أن جدته من بني أمية رهط عثمان).[5]

---

١ – المشارق ٤٦/١.

٢ – المشارق ٢٨/١

٣ – المشارق ٢٥/١.

٤ – المشارق ٤٠/١.

٥ – المشارق ٢٢/١، ٢٣.

ومنه: تحديد من التي كانت تستحاض؟ وبيان ما وقع من الوهم في رواية الليثي عن مالك (أنها رأت زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وكانت تستحاض)، ونقل أقوال أهل العلم، مع بيان وهم من وهم منهم في ذلك.[1]

* * *

---

١ - المشارق ٣١٦/١.

المبحث الثالث: منهجه في شرح الغريب:

١ - ينقل أقوال العلماء في معنى الكلمة، ويرجّح بينها ويناقش.

وهذا أمثلته كثيرة جداً، ومن أمثلته: ذكر قول النبي ﷺ للأنصار "ستلقون بعدي أثرة"، ونقل في معنى "أثرة" عن الأزهري: الاستيثار، أي يُستأثر عليكم بأمور الدنيا، ويَفضل غيرُكم عليكم نفسَه، ولا يُجعل لكم في الأمر نصيب. ثم نقل عن أبي علي القالي أن الأثرة الشدة، وبه كان يتأول الحديث. ثم قال: (والتفسير الأول أظهر، وعليه الأكثر وسياق الحديث وسببه يشهد له).[1]

ومنه: ذَكَرَ اختلاف اللغويين هل يقال: آخرة الرحل، أو مؤخرة الرحل؟ وهل هي بفتح الخاء أو كسرها؟[2]

ومن ذلك: نقل ضبطاً عن السلمي ثم عقبه بقوله: (ولم يقل شيئاً لأنه نص هنالك على الأسنان ثم نصّ هنا على الصفات).[3]

ومنه: قال في نوع الاستثناء في قول الخضر "ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا ما نقص هذا العصفور من هذا البحر" (وإنما هو عند المحققين استثناء من غير الجنس بمعنى لكن، قال القاضي رحمه الله: وهذا غير مضطر إليه إذ معنى الحديث على لفظه وصحة الاستثناء على ظاهره صحيح بيّن، وأولى مما ذكر وأصح)، ثم شرح ذلك وبيّنه.[4]

٢ - يذكر نظائر المعنى في الآيات.

منه: ذكر في ضبط قوله "أمر أمر ابن أبي كبشة" ضبطين الأول بفتح الهمزة وكسر الميم، والثاني بفتح الهمزة وسكون الميم بمعنى الشأن والحال، قال (ومن الأول قوله تعالى "لقد جئت شيئاً إمْراً" أي عظيماً يتعجب منه).[5]

---

١ - المشارق ١٨/١.

٢ - المشارق ٢١/١. وهّم القاضي ابنَ مكي في هذا الموضع، فتعقبه ابن الصلاح في الصيانة، وبيّن صواب قول ابن مكي، وأنه معروف عمن تقدم من أهل اللغة. الصيانة ص: ١٨٤.

٣ - المشارق ٣٠/١.

٤ - المشارق ٣٤/١.

٥ - المشارق ٣٧/١.

منه: قال: (قوله في روح المؤمن والكافر " انطلقوا بهما إلى آخر الأجل " يعني ـ والله أعلم ـ: منتهى مستقر أرواح المؤمنين عند سدرة المنتهى، وأرواح الكافرين في سجين، على ما جاء في الأخبار ومفهوم كتاب الله).[1]

٣ ـ يذكر نظائر المعنى في الأحاديث، وما يفسره في الأحاديث الأخرى.

ومنه قوله: (قوله " شيبتني هود وأخواتها " جاء مفسراً في حديث آخر: هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت. سميت أخوات لها قيل: لشبههن لها بما فيها من الإنذار، وقيل: لأنهن مكيات فهي كالميلاد للأخوة، وقيل: الذي شيبه منها ما فيها من ذلك، وقيل: قوله في هود "فاستقم كما أمرت"، والأول أظهر).[2]

ومنه: (قوله "إلى مائة لا يبقى على ظهر الأرض أحد" يفسره الحديث الآخر، أي ممن هو حي حينئذ).[3]

ومنه: (قوله " إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة " قيل: يحتمل أنها مودعة في الطير إلى يوم البعث، ويحتمل أنها بنفسها تطير، والاحتمال الأول أظهر، لقوله في الأحاديث الأخر "في طير خضر"، و " في حواصل طير خضر"، و " في قناديل تحت العرش").[4]

٤ ـ يذكر الشواهد الشعرية على المعاني.

مثاله: قوله: (وقيل: معنى تظهر: تزول، كما قال: "فتلك شكاة ظاهر عنك عارها" أي زائل).[5]

ومنه: قوله: (وقيل: يظل هنا بمعنى يبقى ويدوم، كما قال: ظللت ردائي فوق رأسي قاعداً).[6]

---

١ – المشارق ٢١/١، وانظر: ٣٢٤/١، ٣٢٨، ٢٨٥ (عذق)، ٣٣١، ١١/٢ (نظر).

٢ – المشارق ٢٢/١، ٢١.

٣ – المشارق ٢٠/١.

٤ – المشارق ٣٢٤/١، وانظر: ٣٣٠/١ (والشمس في حجرتها قبل أن تظهر)، و٣٢٢/١ (خذي فرصة ممسكة فتطهري بها)، و٣٢٢/١ (طولى الطوليين) ٣٢٣/١.

٥ – المشارق ٣٣٠/١.

٦ – المشارق ٣٣١/١.

ومنه: قال عن ظفار بأنها مدينة باليمن ينسب إليها، وقال: (قال غيره: وكذلك الصواب عندهم "جزع ظفار" منسوب إليها. قال ابن دريد: الجزع الظفاري منسوب إلى ظفار وأنشد:

أوابد كالجزع الظفاري أربع.

وأنشد غيره:

...كأنها ظفارية الجزع الذي في الترائب.).[1]

٥. يذكر نظير الأسلوب في منثور كلام العرب:

ومنه قوله: (وقوله في حديث كعب " ونهى النبي ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة وكنا تخلفنا أيها الثلاثة" هذا عند سيبويه على الاختصاص، وحكي عن العرب اللهم اغفر لنا أيتها العصابة وأميننا أيتها الأمة أبوعبيدة، وتكون "أي" هنا بمعنى الذي كقولهم: علمت أيهم في الدار، أي الذي في الدار، فكأنه قال في الحديث: الذين هم الثلاثة أو الأمة في الحديث الآخر).[2]

ويذكر فوائد تتعلق ببيان المعنى منها:

١. ذكر المعرّب.

ومنه: (قول أنس:"كان لي أبزن أتقحم فيه" يريد وهو صائم .. كلمة فارسية، وهو شبه الحوض الصغير أو كالقصرية الكبيرة من فخار ونحوه).[3]

ومنه قوله في معنى الألوة: (قال الأصمعي: هو العود الذي يتبخر به فارسية عُرّبت).[4]

٢ . العناية ببيان معاني حروف المعاني

والعلة في ذلك أنها متكررة في الكلام، وضبطها في موضع يغني عن تكرارها في سائر المواضع، والقاضي لا يقتصر في بيان معانيها على ما ورد في الكتب الثلاثة، وإنما يذكر ما وردت عليه في الكتاب والسنة وكلام العرب، قال رحمه الله: (اعلم أن هذه

---

١ – المشارق ٣٣٢/١، وانظر: ٢/ ١٢ (نكت) حيث استشهد ببيت لامرئ القيس.

٢ – المشارق ٥٦/١.

٣ – المشارق ١٢/١.

٤ – المشارق ٣٢/١.

الصيغة جاءت في كتاب الله وحديث رسوله ﷺ وأصحابه وكلام العرب وأشعارهم بألفاظ مختلفة ولمعانٍ كثيرة ..).[1]

منه: (إلا) بين معانيها وما يتفرع عنها بحسب الرسم والضبط وألفاظ الأحاديث الواردة في ذلك، وتوسع فيه في أربع صفحات ونصف.[2]

٣ . الفروق اللغوية بين الكلمات.

منه: الفرق بين أحد وواحد، فقال:(قيل: هما بمعنى، وقيل: بينهما فرق وأن الأحد المنفرد بشيء لا يشارك فيه، وقيل: الأحد مختص في صفة الله تعالى، ولا يقال رجل أحد، وقيل: الواحد: المنفرد بالذات، والأحد: المنفرد بالمعنى. ومن أسماء الله تعالى الواحد الأحد. وقيل: الفرق بينهما أن واحد اسم لمفتاح العدد وجنسه، وأحد لنفي ما يذكر معه من العدد. قالوا: وأصل أحد واحد).[3]

ومنه: التفريق بين الظل والفيء، قال: (وهذا تفسير معنى الظل، والفرق بينه وبين الفيء: أن الظل ما كان من غدوة إلى الزوال مما لم تصبه الشمس، والفيء من بعد الزوال ورجوعه إلى المشرق من المغرب مما كانت الشمس قبل).[4]

ومنه: الفرق بين طفق وبات وظل، قال:(ظل بفتح الظاء إذا فعلته نهاراً.. ولا يقال في غير فعل النهار كما لا يقال بات إلا لفعل الليل، ويقال: طفق فيهما).[5]

ومنه: الفرق بين الظفر والظلف والخف... قال: (الأظلاف للبقر والغنم والظباء، وكل حافر منشق منقسم فهو ظلف، والخف للبعير، والحافر للفرس والبغل والحمار، وما ليس بمنشق القوائم من الدواب)، وقال:(الظفر من الإنسان، وكل حيوان بضم الظاء وتسكن الفاء وتضم، قال ابن دريد: ولا تكسر الظاء. ويقال: أظفور أيضاً).[6]

---

١ – المشارق ٤١/١.

٢ – المشارق ٣٢/١، وانظر: (اما) بفتح الهمزة وكسرها ٣٧/١، و (ان) بفتح الهمزة وكسرها وبالتخفيف والتشديد ٤١/١، و (أو) بإسكان الواو أو فتحها ٥٢/١، و (باء) مفردة ٧١/١.

٣ – المشارق

٤ – المشارق ٣٢٨/١.

٥ – المشارق ٣٢٨/١.

٦ – المشارق ٣٢٩/١، وانظر: الفرق بين طاع وأطاع وما تفرع عنهما من الاشتقاق ٣٢٢/١، والفرق بين المنبوذ واللقيط ٣/٢، والفرق بين النطاق والمنطقة ١١/٢، والفرق بين الإختان والإحماء والإصهار ٢٣٠/١.

٤ . يُبيّن الأضداد.

ومنه: طهم، قال: (التام كل شيء على حدته، فهو بارع الجمال... وقيل: هو الفاحش السمن، وهذا هو الأولى في صفته عليه السلام لم يكن بالمطهم، وقيل: النحيف الجسم، فكأنه من الاضداد).[١]

ومنه: الظن، قال: (والظن بمعنى العلم واليقين أيضاً، وهو من الأضداد، ومنه قول عائشة " وظننت أنهم سيفقدوني").[٢]

ومنه: النطفة، قال: (نطفة ماء أي قطرة قليلاً، وقيل: إنه أيضاً الكثير، وقيل هو من الأضداد، وقيل: النطفة الصافي قليلاً كان أو كثيراً).[٣]

٥ . ذكر باقي اللغات في الكلمة والتي لم ترد في روايات الحديث.

مثاله: (وفي حديث الغار "فرق أرز" فيه لغات ست، أرز بفتح الهمزة وضمها وضم الراء، وبضم الهمزة وسكون الراء، وبضم الهمزة والراء وتخفيفها، ورنز بحذف الهمزة، ورز بحذف الهمزة والنون).[٤]

ومنه: (ذكر في حديث الأصبع، وفيه لغات عشر ألفظ به على جميع وجوه النطق، بلفظ أفعل فعلا واسما وذلك تسعة وجوه، كسر الهمزة مع كسر الباء وضمها وفتحها ثلاث لغات وكذلك مع فتح الهمزة ومع ضمها والعاشرة أصبوع بواو مع ضمها كذا ذكر صاحب اليواقيت).[٥]

٦ . ذكر سبب التسمية ببعض الأسماء.

من ذلك بيانه سبب تسمية المدينة النبوية بطيبة وطابه، فقال:(سماها بذلك عليه السلام . والله أعلم . من الطيب وهو الزكاة والطهارة الذي هو ضد الخبث والنجاسة، كقوله تعالى " الطيبات للطيبين" فسماها بذلك لفشو الإسلام بها وتطهيرها من الشرك

---

١ – المشارق ٣٢٢/١.

٢ – المشارق ٣٢٩/١.

٣ – المشارق ١١/٢.

٤ – المشارق ١٧/١.

٥ – المشارق ٤٧/١.

والنفاق، وذلك على غالب أهلها، وقيل معناها: طاهرة التربة، قاله الخطابي... وقيل: لطيبها لساكنيها وأمنهم بها..) وذكر غيرها من الأوجه.[1]

ومنه: سبب تسمية الأنباط بهذا الاسم، فقال:(ويحتمل أن تسميتهم بذلك لاستنباطهم المياه واستخراجها، واسم الماء النبط، وقيل: بل سمي بذلك من أجلهم واسمهم لعملهم ذلك وعمارتهم الأرض).[2]

٧ . يُوَفِّقُ بين الروايات والأحاديث المختلفة.

وهذا القدر زائد على مجرد بيان معنى الغريب من حيث اللغة، ومثاله:

ذكر اختلاف الروايات في صفة عين الدجال، ثم قال: (وقد بسطنا هذا واختلاف الروايات فيه، وقوله في بعضها " أعور العين اليمنى" وفي بعضها اليسرى، وجمعنا الأحاديث ولفقناها بمعنى في كتاب الإكمال في شرح مسلم بما فيه كفاية).[3]

٨ . يُبَيّنُ أساليب العرب في كلامهم، وعاداتهم العامة.

ومن ذلك: قال في (لا أم لك) : (هي كلمة تدعم العرب بها كلامها لا تريد بها الذم بل عند إنكار أمر أو تعظيمه).[4]

وقال في: مرحباً يا أم هانئ، أو بأم هانئ قال: (والباء هنا أكثر استعمالاً).[5]

وقال في تزوج الرجل ابنة أخية بأنه (لم يكن ذلك من مناكح العرب).[6]

وقال: (قال الأصمعي وغيره: يقال بين ظهريهم وظهرانيهم ـ بفتح الظاء والنون ـ ومعناه: بينهم وبين أظهرهم. قال غيره: والعرب تضع الاثنين موضع الجميع).[7]

---

١ – المشارق ٣٢٦/١.

٢ – المشارق ٣/٢، وانظر: سبب تلقب أسماء رضي الله عنها بذات النطاقين في ١١/٢، وسبب تسمية العشرين سورة من المفصل بالنظائر في ١٢/٢، وسبب تسمية الدنيا بذلك في ٢٥٨/١، وسبب إطلاق لفظ الربانيين في ٢٧٨/١.

٣ – المشارق ٣٢٦/١.

٤ – المشارق ٣٨/١.

٥ – المشارق ٤٠/١.

٦ – المشارق ٤٠/١.

٧ – المشارق ٣٣١/١.

وقال في حديث الغار (إن كنت تعلم أنما فعلت ذلك ابتغاء وجهك) معناه إنك تعلم، فأوقع الكلام موقع التشكيك .. وهذا الباب يسميه أهل النقد والبلاغة بتجاهل العارف وبمزج الشك باليقين، ومنه قوله تعالى ..).[1]

وقال: (تقول العرب: فلان طويل اليد والباع، إذا كان كريماً).[2]

وقال: (وقيل: اللغتان في الكناية عن الجماع بذلك صحيحتان، يقال: طاف بالمرأة وأطاف بها: جامعها. قاله صاحب الأفعال).[3]

وقال في قولهم "طويل النجاد": (النجاد: حمالة السيف، وهو ما يعلق به في العنق، وهو بدال مهملة، قيل معناه: طويل القامة، فعبر بالنجاد عن ذلك؛ لأن من طالت قامته طال نجاده).[4]

٩. يُبَيّن التطور الدلالي للكلمة.

ومن ذلك قوله في الظعينة:(الظعائن والظعينة هم: النساء. وأصله الهوادج التي يكن فيها، ثم سمي النساء بذلك. وقيل: لا يقال إلا للمرأة الراكبة. وكثر حتى استعمل في كل امرأة، وحتى سمي الجمل الذي تركب عليه ظعينة، ولا يقال ذلك إلا للإبل التي عليها الهوادج. وقيل: إنما سميت ظعينة لأنها يظعن بها ويرحل).[5]

١٠. يذكر الوجوه والنظائر.

ومن ذلك أنه ذكر أصل وضع كلمة الظلم وأنه وضع الشيء في غير موضعه، ثم ذكر وجوه الكلمة في الشرع، وأنها على عدة معانٍ منها: الشدة، والمعصية، ووضع الشيء في غير موضعه.[6]

١١. يذكر المثنيات.

---

١ – المشارق ١/٤٤،٤٣.

٢ – المشارق ١/٣٢٢.

٣ – المشارق ١/٣٢٣.

٤ – المشارق ٢/٤.

٥ – المشارق ١/٣٢٩.

٦ – المشارق ١/٣٢٨، ٣٢٩.

مثاله: قال: (مأدبة بفتح الدال وضمها: الطعام يصنع للقوم؛ يدعون إليه.. وجعله الأصمعي في الطعام بالضم، وفي الأدب بالفتح. وحكي عن الأحمر أنهما لغتان، وقالهما أبوزيد في الطعام).[1]

١٢. ينبه على ما يأتي ثلاثياً ورباعياً.

مثاله: (قوله في حديث أم سليم " فآدمته" بمد الهمزة وتخفيف الدال كذا أكثر ما ضبطناه وقرأناه على شيوخنا، ويقال أيضاً بغير مد لغتان صحيحتان؛ ثلاثي ورباعي).[2]

١٣. ينبه على ما يشترك فيه المفرد والجمع.

مثال: قال: ("الفلك" بضم الفاء وسكون اللام وهي السفينة، وقيل: هو جمع واحدها فلك. وقيل: لفظه في الواحد والجمع فلك كقولهم: امرأة هجان، ونسوة هجان).[3]

* * *

---

١ المشارق ١/ ٢٣.

٢ المشارق ١/ ٢٤.

٣ المشارق ٢/ ١٥٨.

الفصل الرابع: عنايته بالنحو والتصريف والإعراب[1]

أولاً: عنايته بالنحو:

يقول خوندكار في رسالته: (بدا لي أن عياضاً سبق ابن مالك إلى كثير من الآراء التي تنسب إليه، ويعدّ هو أول من ذهب إليه. والأظهر أن ابن مالك قد تأثر في هذه الآراء وغيرها بالقاضي عياض..)، ويقول: (رأينا أن كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار حافل بفوائد جمة تعم المحدثين والنحويين واللغويين، وهو حافل بآراء كثير من نحاة الأندلس ومحدثيها إلى جانب علماء المشرق الإسلامي في قضايا تتعلق بنصوص الحديث).[2]

ومن عنايته بالنحو ما يلي:

١. الاحتجاج بالرواية المتفق عليها على ما اختلف فيه النحويون.

منه: أنكر بعضهم أن يقال انبجاني بفتح الهمزة أو كسرها وإنما يقال منبجاني، قال القاضي: (النسب مسموع فيه تغيير البناء كثيراً فلا ينكر ما قاله أئمة هذا الشأن، لكن هذا الحديث المتفق على نقل هذه اللفظة فيه بالهمز تصحح ما أنكروه).[3]

٢. يذكر التوجيهات النحوية.

ومن ذلك قوله (صليت معه صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله) من إضافة الشيء إلى نفسه على مذهب الكوفيين، وقد يكون صلاة الأولى مضافة إلى أول ساعات النهار).[4]

ومنه ما تقدم قريباً حديث كعب بن مالك (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة وكنا تخلفنا أيها الثلاثة) قال: (هذا عند سيبويه على الاختصاص ..).[5]

ثانياً: عنايته بالإعراب:

يعنى القاضي بإعراب الكلمات وذكر التوجيهات النحوية، وهذا من تمام البيان اللغوي للكلمة خاصة في الكلمات التي يختلف معناها بحسب إعرابها، فإن التفسير

---

١ – ذكرت في هذا الفصل إشارات، وللتوسع يرجع إلى رسالة بعنوان: "المسائل النحوية والتصريفية في كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار".

٢ – المسائل النحوية والتصريفية في كتاب مشارق الأنوار ص: ٧٤٥.

٣ – المشارق ٤١/١.

٤ – المشارق ٥١/١.

٥ – المشارق ٥٦/١.

اللغوي وإن كان يتجه إلى المعاني، فكذلك الإعراب له ارتباط بالمعاني، ولذا نجد القاضي - رحمه الله - عقد فصلاً بعنوان: (ألفاظ وجمل في هذه الأصول يحتاج إلى تعريف صوابها وتقويم إعرابها، وتفهيم الموخر من المقدم من ألفاظها، وبيان إضمارات مشكلة، وعلى ما يعود المراد بها)، فجعل الإعراب من تمام البيان. وكما أن القاضي عقد فصلاً للإعراب فكذلك كان يشير إليه في ثنايا كتابه، ومن ذلك:

قوله: (ألا نعجبك أبا فلان جاء فجلس .. كذا عندهم بالباء منادى بكنيته).[1]

ومنه: في قول عمر "حتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مات" قال: (والجملة بدل من الهاء في تلاها).[2]

ومنه: إعراب قوله (الذي لا يعجل شيء إناه وقدره) قال (وإناه وقدره مفعول به، وشيء مرفوع بالفاعل، ورواه القنازعي بضم يعجل، ورواه ابن وضاح شيئاً مفعولاً، وإناه الفاعل، وكلهم يقولون إناه قدره).[3]

ومنه: (قوله في الشارب " فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله" بتاء المتكلم مضمومة، وأنه بفتح الهمزة، ومعناه: الذي علمت أو لقد علمت، وليست بنافية، وأنه وما بعده في موضع المفعول بعلمت..).[4]

ثالثاً: عنايته بالصرف والاشتقاق.

وبيان الاشتقاق أمر هام في معرفة أصل الكلمة ومن ثمّ بيان معناها، فقد تلتبس كثير من الكلمات ولا يتبين أمرها إلا بالاشتقاق، من ذلك قوله (أتى وآتى وآتى وأتيت وأتوا .. مقصور وممدود، فحيثما جاء من الإتيان بمعنى المجيء فهو مقصور الهمزة، وإذا كان

---

١ - المشارق ١/١٥.

٢ - المشارق ١/٤٢.

٣ - المشارق ١/٤٥.

٤ - المشارق ١/٤٦، وانظر مزيداً من الإعراب في: ١/٥١ (وأمرنا أمر العرب)، (هذا أوان وجدت انقطاع أبهري) وردّ فيه على ابن مكي في تغليطه المحدثين، ١/٢٧٨ (ولا مستغنى عنه ربنا) ١/٣٢٨ (ليس لعرق ظالم حق)، ١/٣٢٢ (لا يغرنكم بياض الأفق المستطيل)، ٢/ ١٣٠ (فأصابه سهم غرب)، ٢٨١ (وحدك)، ٢٩٩ (فاقتتلوا والكفار)، ٣١٣ (كم اعتمر رسول الله)، ٣١٥، ٣٢٥.

بمعنى الإعطاء فممدود الهمزة).[1] وبعد أن ذكر هذه القاعدة ساق الكلمات تحت هذه المادة وبين معنى كل كلمة بعد إرجاعها إلى هذه القاعدة.

مثال: قال ("طريق مئتاء" بكسر الميم ممدود وهمزة ساكنة . وقد تسهل . أي محجة، ومعناه: كثير السلوك عليها، مفعال من الإتيان).[2]

مثال: قال: (آجره الله بالوجهين أيضاً بمد الهمزة وقصرها. يقال: أجره الله بالقصر يأجره وآجره، لغتان .. فأما قوله "أجرنا من أجرت يا أم هاني"، و "أجرنا أبا بكر" فليس من هذا هو الجوار من أجار يجير)، أي أن الأول من الأجر، والثاني من الجوار.[3]

مثال: بين اشتقاق ايم الله بقطع الهمز ووصله، و أم الله، م الله، ومن الله، وايمن الله، وغير ذلك، وبين سبب ذلك الاختلاف.[4]

ومنه: معنى التطير، قال:(وأصل اشتقاقها من الطير؛ إذ كان أكثر تطيرهم وعملهم به).[5]

ومنه: الاستنجاء، ذكر أنه من النجو وهو: القشر والإزالة، وقيل من النجوة، وهي ما ارتفع من الأرض. سمي بذلك لاستتارهم لذلك بها، وقيل: لارتفاعهم وتجافيهم عن الأرض عند ذلك.[6]

. ويذكر في الكلمة توجيهها الصرفي، وما طرأ عليها من إعلال أو إبدال أو إدغام أو قلب ونحو ذلك.

ومن ذلك: في قوله في حق أبي بكر الصديق (ولكن أخوة الإسلام) في بعض الألفاظ "خوّة" وفي بعضها "خلة" قال: (قال شيخنا أبوالحسن بن الأخضر النحوي: وجهه أنه نقل حركة الهمزة إلى نون لكن تشبيهاً بالتقاء الساكنين، ثم جاء منه الخروج من الكسرة

---

١ – المشارق ١٦/١

٢ – المشارق ١٦/١، ١٧.

٣ – المشارق ١/ ١٩.

٤ – المشارق ٥٦/١.

٥ – المشارق ٣٢٤/١.

٦ – المشارق ٢/ ٥، وانظر للزيادة: الأبواء في ٥٧/١، و اشتقاق استطاع واسطاع في ٣٢٢/١، وكلمة النبي مهموزة وغير مهموزة في ٢/٢، ومصك)، وتعلّت من نفاسها هل هي مشتقة من العلو أو العلل في ٨٣/٢.

إلى الضمة فسكن النون ومثله قوله تعالى " لكنا هو الله ربي" المعنى: لكن أنا فنقل الهمزة، ثم سكن وأدغم لاجتماع المثلين).

منه: (الإرث بكسر الهمزة: الميراث، وأصله الواو، فقلبت ألفاً لمكان الكسرة).[1]

منه: (فأما "أنا" المخففة فهي اسم للمتكلم عن نفسه، وأصلها "أن" بغير ألف. قال الزبيدي: فإذا وقفت زدت ألفاً للسكوت. قال الله تعالى " إني أنا ربك" التلاوة بغير ألف).[2]

منه: (والمأوى المسكن بفتح الواو مقصور، وكل شيء يؤوى إليه إلا مأوى الإبل فبكسر الواو خاصة، ولم يأت مفعل بكسر العين في الصحيح من مصادر الثلاثيات من الأفعال وأسمائها مما مستقبله يفعل بالفتح إلا مكبر من الكبر ومحمدة من الحمد، وفي المعتل غير الصحيح معصية ومأوى الإبل هذه الأربعة وسواها مفعل بالفتح في الصحيح وكثير من المعتل مما عين فعله ياء، وقد حكي في جميع ذلك الفتح والكسر كنّ مصادر أو أسماء).[3]

وقال: (نزع ينزع بفتحها في الماضي وكسرها في المستقبل، وأصل فعل إذا كان عينه أو لامه حرف حلق أن يكون مستقبله كذلك مفتوحاً، ولم يأت في المستقبل مكسوراً إلا ينزع ويهنئ).[4]

* * *

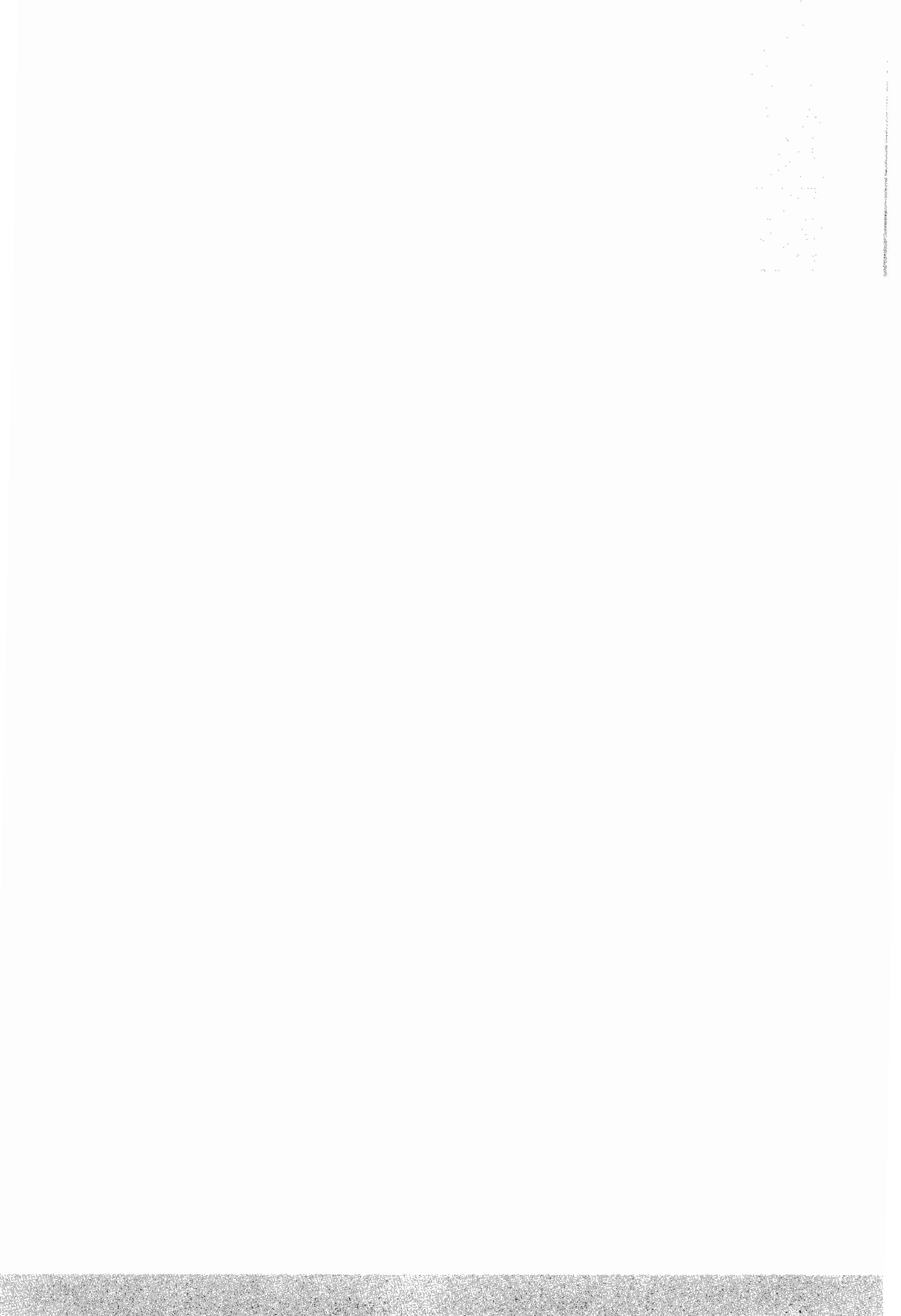
---

١ – المشارق ٢٦/١

٢ – المشارق ٤١/١.

٣ – المشارق ٥٢/١.

٤ – المشارق ٩/٢، وانظر: ٣٢٣/١ (ذكر الطوافات، وبين ما تصرف من مادة طوف وبين معانيها)، و ٢٨/٢ بين الفرق بين المصادر في نشد وأنشد، والفرق بين المنشد والناشد. وأشار إلى اختلاف اللغويين في ذلك.



الخاتمة:

وبعد هذه الجولة السريعة في كتاب القاضي عياض "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" يمكن الخروج بالنتائج التالية على وجه الإجمال لا البسط:

يعدّ هذا الكتاب معلمة كبيرة فيما يتعلق بالموطأ والصحيحين، بحيث قد يستغني به طالب العلم عند عدم الشروح المطولة.

يمكن ضبط ألفاظ الكتب الثلاثة على كتاب المشارق سنداً ومتناً، فتصير بذلك كتباً محررة متقنة.

يعدّ القاضي عياض رائداً في تأليفه هذا الكتاب من حيث الجمع بين ضبط مشكلات الأسانيد والمتون، مع بيان الغريب.

الكتاب من أقوى ما يرد به على من اعترض على الاحتجاج بالحديث في اللغة والنحو.

سبق القاضي عياض ابن مالك في الاحتجاج بالحديث النبوي.

ولا يفوتني هنا أن أوصي بالعناية بكتاب المشارق من خلال الإخراج العلمي اللائق به، ومن خلال خدمته بالفهارس المتنوعة، كما أن الكتاب يمكن أن يكون مجالاً للدراسات العلمية المختلفة، ومن العجب أنني لم أقف إلا على رسالة واحدة متعلقة بالكتاب.

والحمد لله أولاً وأخراً والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

١- اختصار علوم الحديث للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، مع شرح أحمد شاكر، مصورة عن الطبعة الأولى، ١٤٠٣.

٢- أزهار الرياض في أخبار عياض لشهاب الدين أحمد بن محمد المقّري التلمساني، تحقيق جماعة، ط صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- إعراب الحديث النبوي لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق د. حسن موسى الشاعر، دار المنارة، ط٢، ١٤٠٨.

٤- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ٨١، ١٤١٩.

٥- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية الرواية وتقييد السماع لقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العتيقة، ط٢.

٦- إنباه الرواة على أنباء النحاة لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٦.

٧- البداية والنهاية للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق د. عبدالله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٧.

٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للعلامة محمد بن علي الشوكاني، تصوير مكتبة ابن تيمية.

٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.

١٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق الدكتور عبدالسلام تدمري. دار الكتاب العربي ط١ (عدة سنوات)

١١- تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبدالله بن محمد الأزدي الحافظ المعروف بابن الفرضي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

١٢- تاريخ مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢.

١٣- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأحمد بن عميرة الضّبّي، تحقيق إبراهيم الأبياري ضمن المكتبة الأندلسية، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٠.

١٤- تحفة القادم لمحمد بن عبدالله القضاعي المعروف بابن الأبار، تحقيق إبراهيم الأبياري ضمن المكتبة الأندلسية، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٠.

١٥- التعريف بالقاضي عياض لابنه أبي عبدالله محمد بن عياض اليحصبي. تحقيق الدكتور محمد بن شريفه، ط وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢، ١٩٨٢م

١٦- تفسير غريب الموطأ لعبدالملك بن حبيب، تحقيق د. عبدالرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١.

١٧- توضيح المشتبه للحافظ محمد بن عبدالله القيسي، المعروف بابن ناصر الدين، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ط٢، ١٤١٤.

١٨- الحديث النبوي في النحو العربي للدكتور محمود فجال، أضواء السلف، ط٢، ١٤١٧.

١٩- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام محمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط٢، ١٤١١.

٢٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي، تحقيق د. محمد الأحمدي أبوالنور، دار التراث (بدون).

٢١- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للعلامة محمد بن جعفر الكتاني، عناية محمد المنتصر الكتاني، دار البشائر الإسلامية، ط ٥، ١٤١٤.

٢٢- سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ٧، ١٤١٠.

٢٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد عبدالحق بن أحمد الحنبلي. تحقيق محمود الأرناؤوط. دار ابن كثير. ط١، (سنوات متفرقة).

٢٤- صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، ط١/ ١٤١٩.

٢٥- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار السلام، ط١، ١٤١٩.

٢٦- الصلة لابن بشكوال، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٠.

٢٧- صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط للحافظ أبي عمرو بن الصلاح الشهرزوري، تحقيق موفق عبدالقادر. دار الغرب، ط١، ١٤٠٤.

٢٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، تصوير دار الجيل، ط١، ١٤١٢.

٢٩- عجالة الإملاء المتيسرة من التذنيب على ما وقع للحافظ المنذري من الوهم وغيره في كتابه الترغيب والترهيب للحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدمشقي، بتحقيق جماعة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠.

٣٠- علوم الحديث لأبي عمرو عثمان الشهرزوري، تحقيق د. نور الدين عتر، دار الفكر، ط١٤٠٦.

٣١- الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض) للقاضي عياض بن محمد اليحصبي، تحقيق ماهر زهير جرار. دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٢.

٣٢- الفهرست لابن النديم، تصوير دار المعرفة.

٣٣- الفهرست لابن خير الأشبيلي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٠.

٣٤- القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، للدكتور البشير الترابي، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨.

٣٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعلامة مصطفى بن عبدالله الرومي، تصوير دار الفكر، ١٤٠٢.

٣٦- مرآة الجنان وعبرة اليقظان لأبي محمد عبدالله اليافعي، تصوير دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤١٣.

٣٧- المسائل النحوية والتصريفية في كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار. جمعاً ودراسة ـ خوندكار أبونصر محمد عبدالله. رسالة ماجستير.

٣٨- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، مصور عن طبعة المكتبة العتيقة بتونس.

٣٩- معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، تأليف السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٢١.

٤٠- معجم البلدان لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي. تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي. دار الكتب العلمية. ط١، ١٤١٠.

٤١- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤.

٤٢- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لمحمد بن عبدالله القضاعي المعروف بابن الأبار، تصوير دار صادر عن الطبعة الألمانية. وطبعة إبراهيم الأبياري ضمن المكتبة الأندلسية، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٠.

٤٣- المنهاج شرح صحيح مسلم للإمام يحيى بن شرف النووي، تحقيق الشيخ خليل الميس، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٧.

٤٤- هدي الساري مقدمة فتح الباري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط السلفية الثالثة، ١٤٠٧.

٤٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر

* * *